الحجاج من مملكة الحيوان إلى مملكة الإنسان
دراسة في (قصة النمر والثعلب) لسهل بن هارون

إلهام عبد العزيز رضوان بدر*
elham_badr_85@yahoo.com

ملخص

تحاول الدراسة العكوف على كتاب النمر والثعلب من أجل فحص الوسائل المعتمدة في الحجاج، وكيف كانت تلك الوسائل المحور الأساس الذي شكل منطق القصة بأتمها، وجعل كل عناصرها في خدمة فكرتها أو دعواها، التي هي دعوة انصياع للسلطة واستمالة للدائرة المحيطة بها من الرعية، أو من أهل المشورة والطامعين في النفوذ أو الحكم ذاته؛ من هنا جاءت الدراسة لتبحث في الحجاج ودوره في الخطاب السَّردي، وكيف وظّفَ سهل استراتيجياته من خلال الحوار الذي أقامه بين أبطال قصته.

إن هذه الحكاية السَّردية تقوم على قضية حجاجية وهي المنازعة حول السلطة، إذ تقوم على التمثيل الحكائي، الذي يسند فيه السارد دور البطولة للحيوانات، فكل حيوان يقوم بوظيفة رمزية حجاجية في هذه الحكاية، ويقتضي هذا الافتراض التحليلي تحديد مفهوم الحجاج الذي ننطلق منه، وتأطير الخلفيات الخاصة به.

إن ما يمكن استخلاصه من فرضية الطبيعة الحجاجية لقصة النمر والثعلب يتمثل في جملة من النتائج من أهمها: أن القصة تركز على المجالين السياسي والتعليمي في آن، بل يمكن القول بأنها رسالة دعائية على صعد متنوعة، إنها رسالة ترهيب لأي محاولة للخروج على السلطة الحاكمة وترسيخ الأمر الواقع، وتغليب المصلحة الفردية والنجاة الشخصية.

الكلمات المفتاحية: الحجاج– السرد العربي القديم– النمر والثعلب– سهل بن هارون.

* قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن- كلية دار العلوم- جامعة الفيوم

مقدمة

ظاهرة القصص الحيواني التي يكون الحيوانات أبطالها أو تأتي على ألسنتهم، تكاد تشكل نوعا سرديًّا قائما برأسه في الأدبين العالمي والعربي على حد سواء، وفي مثل هذه القصص يلاحظ في أحد مستوياتها الدلالية اهتمام بطرح القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية المتصارعة، ويأتي تشخيص الحيوان في صورة بشرية يفكر و يدبر ويخطط، ليس في الأدب العربي وحده، بل في ثقافات العالم المختلفة، حيث يقوم فيها الحيوان بدور البطولة، مما يجعلها تبدو لعبًا وهزلًا في ظاهرها، لكن باطنها يحمل الكثير من الدلالات والرسائل المقصودة؛ ولذا تكون أكثر دهشة وإثارة وقبولًا لدى المتلقي، لما تتميز به من بساطة وعمق في آن، ولما تحمله من بعد عجائبي يصل إلى الغرائبية في بعض الأحيان، وتتنوع أهدافها ما بين الإصلاح الاجتماعي أو التهذيب الخلقي أو توضيح الحقوق أو الواجبات السياسية بين الحاكم والرعية في قالب سردي محكم البناء، لا يخلو من الخيال والإمتاع الفني.

وقد عرف العرب هذه القصص منذ العصر الجاهلي سواء أكانت على منوال السَّرد الشفاهي والحكايات الشعبية، أو السَّرد القصصي المحمل بالدلالات الخلقية أو التعليمية أو السياسية المنتشر بين تضاعيف الكتب، ومع الامتزاج الثقافي والحضاري بين العرب وغيرهم من الأمم الأخرى بدأ هذا الجانب يتطور ويأخذ شكلًا مختلفًا، حيث بدأت حركة الترجمة والتعريب التي أثرت بجلاء في إثراء المكتبة العربية، وكان من بين هذه الترجمات كتاب (كليلة ودمنة) الذي نقله ابن المقفع من الهندية إلى العربية، ويعد أول كتاب يحكي مجموعة من القصص أبطالها حيوانات وهي ترمز في الأساس إلى شخصيات بشرية وتتضمن القصص عدة مواضيع من أبرزها العلاقة بين الحاكم والمحكوم، بالإضافة إلى عدد من الحِكم والمواعظ.

ويعد سهل بن هارون من الكتاب الذين أولوا القص على لسان الحيوان أهمية كبيرة في العصر العباسي؛ حيث اعتمد كتابه النمر والثعلب – موضوع الدراسة– القص على لسان الحيوان على الوسائل الحجاجية والجدلية والحوارية من منظور قصصي أمثولي حول الحياة السياسية في ذلك العصر بطريقة غير مباشرة؛ فهو يؤسس للعلاقة بين الحاكم والوزراء والولاة والرعية وأهل المشورة في قالب سردي محمل بالنصح والتوجيه، وإرساء القواعد الصارمة والقوانين المحددة التي تحكم شكل العلاقة، مركزًا على دور العقل في تغيير الواقع وتحويل مساره، كل ذلك حاجج حوله سهل بن هارون بمنطق رمزي يتعاضد فيه التمثيل مع التصوير والسَّرد على ألسنة الحيوان، " ويمكن القول إن قصص الحيوان توفر للكاتب إمكانات تعبيرية أفضل، وهي شكل فني ذو أبعاد دلالية واسعة؛ إذ يتيح للمتلقين فسحة رحبة للتأويل، أو لنقل: إمكانات لا حصر لها؛ لتجسيد النص القصصي (استقباليًا)، وفقًا لآفاق توقعاتهم، أو دائرة اهتماماتهم المختلفة"[١] .

الدراسات السابقة

وتحاول الدراسة الحالية العكوف على كتاب النمر والثعلب من أجل فحص الوسائل المعتمدة في الحجاج وكيف كانت تلك الوسائل المحور الأساس الذي شكل منطق الرسالة بأتمها، وجعل كل عناصرها في خدمة فكرتها أو دعواها التي هي دعوة انصياع للحكم واستمالة للدائرة المحيطة به من الرعية أو من أهل المشورة والطامعين في النفوذ أو الحكم ذاته؛ من هنا جاء البحث ليبحث في الحجاج ودوره في الخطاب السَّردي، وكيف وظف سهل استراتيجياته من خلال الحوار الذي أقامه بين أبطال قصته.

ومن هنا تجدر الإشارة إلى كثرة ما كتب عن قصة النمر والثعلب من وجهات وخلفيات معرفية متنوعة، ولكننا نظن بأن مدخلنا إليها هنا يختلف في معالجته التحليلية للقصة على النحو الذي قدمنا. وليس هناك ما يمنع هنا من

استعراض لعدد من تلك الدراسات السابقة، قصد الإبانة عن سبل البحث القائمة وما نعتزمه في دراستنا، فمن هذه الدراسات:

- أحمد حمد النعيمي: المفارقة في كتاب النمر والثعلب، مجلة الدراسات الإسلامية مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية، باكستان، المجلد ٤٧، العدد ١، ٢٠١٢م.
- أحمد عبد الكريم الملقي: (السَّرد القصصي على لسان الحيوان في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون –دراسة تحليلية) – جامعة الأزهر – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة–٢٠١٨م.
- إنصاف المومني (قراءة في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون) دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية، المجلد ٤٣ العدد ٣، ٢٠٠١٦م.
- محمد محمود حرب، بكر محمد أبو معيلي: تقنية الحوار في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية، المجلّد46 ، العدد ٢، ٢٠١٩م.
- عزيزة عزالدين لافي: أنماط الشخصية السردية في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، الثلاثون – كانون الأول – ٢٠١٩.
- فاطمة السراحنه: البنية الحكائية في كتاب النمر والثعلب، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلّد ٤٥، العدد ٤، ملحق ١، سنة ٢٠١٨م.
- فايزة عليلو: بلاغة التمثيل ولعبة الرموز والأقنعة في كتاب "النمر والثعلب" لسهل بن هارون، أشغال الندوة العلمية: البلاغي بين الإنتاج والتلقيم، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس – كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، ٢٠١٩م.

- قحطان الفلاح:(الأدب والسياسة، قراءة في قصة النمر والثعلب) مجلة دمشق مج ٢٧، ع ١و٢، ٢٠١١م.
- قحطان الفلاح:(القصة على لسان الحيوان: كتاب النمر والثعلب نموذجًا) مجلة التراث العربي،
مج ٢٢، ع ٨٦,٨٧، ٢٠٠٢م.
- محمد عبد الرزاق أحمد المكي: مصادر الاسترفاد وآلياته في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون، سياقات اللغة والدراسات البينية، مج٥، ع٢، ٢٠٢٠م.

ولا شك أن الجانب السَّردي والقصصي كان له النصيب الأوفى من المعالجة في الدراسات السابقة، وكانت العناية بالجوانب الحجاجية بعيدة عن التناول، إلا في إشارات عابرة عن دور السياسي في تكوين القصصي.

مهما يكن من أمر، فإن هذه الحكاية السَّردية تقوم على قضية حجاجية وهي المنازعة حول السلطة، حيث تقوم على التمثيل الحكائي، الذي يسند فيه السارد دور البطولة للحيوانات، فكل حيوان يقوم بدور في هذه الحكاية، ويقتضي هذا الافتراض التحليلي تحديد مفهوم الحجاج الذي ننطلق منه، وتأطير الخلفيات الخاصة به.

في مفهوم الحجاج وآلياته

تدور لفظة الحجاج في المعاجم العربية حول معاني (الحجة، والبرهان، الدليل، والجدال، والتخاصم،) وغيرها من المعاني المشابهة، ففي معجم لسان العرب يُقَالُ: "حَاجَجْتُهُ أُحَاجُّهُ حِجَاجًا وَمُحَاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُهُ أَيْ غَلَبْتُهُ بِالْحُجَجِ الَّتِي أَدْلَيْتُ بِهَا؛ وَالْحُجَّةُ: الْبُرْهَانُ؛ وَقِيلَ: الْحُجَّةُ مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْم[٢].

بعض هذه المعاني اللغوية في بعدها العام تؤطر مفهوم الحجاج بطرائق متنوعة، إذ يقوم الحجاج على التواصل بين طرفين (متكلم ومستمع) حول أمر يستدعى حجة أو دليلًا يثبته أو ينفيه. ومن ثم التأثير في المتلقي بهدفه إقناعه.

فالحجاج صنف من " الخطاب الذي يسعى إلى تعديل أو تثبيت موقف المتلقي بالتأثير فيه بالخطاب، أي بالكلام، سواء كان ذلك الكلام يغترف من معين العقل أو من معين العواطف والانفعالات"[٣].

ومن هنا تأتي أهمية الخطاب الحجاجي في علاقته بالمتلقي وطرق التأثير فيه، فلم يقتصر فعل التأثير على العواطف فحسب، بل يشمل ما يقبله العقل أيضًا، وهذه الطبيعة التواصلية أعطاها بيرلمان أولوية خاصة، قائلا:" وما دام أن الحجاج ليس استنباط النتائج من مقدمات معينة، وإنما إحداث تصديق مستمع ما للدعاوي المعروضة عليه وتقويته، فإنه لا يجري في الفراغ. بل يستلزم اتصالًا عقليًا بين الخطيب ومستمعه: فلابد للخطبة من أن تسمع، و للكتاب أن يقرأ، وإلا كانا بلا تأثير"[٤]. إن تلك السمة الدالة على دفع المخاطب إلى الاقتناع عبر حشد البراهين والأدلة والحجج متنوعة المصادر والأشكال تعد السمة الأبرز التي لم يخل تعريف للحجاج منها، فيعرفه فرانز فان إيمرن وروب غروتندورست بأنه" نشاط كلامي واجتماعي وعقلي الغرض منه إقناع ناقد معقول(reasonable critic) بمقبولية وجهة نظر(standpoint) عن طريق تقديم كوكبة من القضايا المبررة أو المفندة للقضية المعبر عنها في وجهة النظر"[٥]. ويذهب فيليب بروطون إلى أن "الحجاج معناه البرهان، أي اقتراح الرأي على الآخرين وتزويدهم بالأدلة الكفيلة بجعلهم يذعنون له."[٦]. ومفاد هذه التعريفات وغيرها الكثير أن الحجاج يقوم على دعوة موجهة إلى جمهور، بهدف التأثير والإقناع في تقبل الرأي المطروح أو دعمه، وقد أشارت روث أموسي إلى تلك الغاية في تعريفها للحجاج بأنه: "الوسائل اللفظية التي تستعملها دعوى تعبيرية للتأثير على المخاطبين بها في محاولة لدفعهم إلى الالتزام بأطروحة ما، أو لتعديل أو تعزيز التمثلات والآراء التي تدعمها، أو ببساطة، لتوجيه طرقهم في النظر أو إثارة تساؤلات حول مشكلة معينة"[٧].

من خلال تلك الطبيعة التحليلية لطرائق الإقناع التي تسم الحجاج، سنحاول في هذا البحث إظهار البعد الحجاجي من خلال الآليات التي اعتمدت عليها قصة سهل بن هارون في دعم القضية التي تدافع عنها في (النمر والثعلب)، فهو يقدم عبر الحكاية الرمزية العلاقة بين الحاكم والرعية، أو بمعنى آخر، يؤسس لأدب التعامل مع السلطة، والعلاقات بين أركانها، وأشكال الصراعات فيها، وما ينبغي أن تكون عليه، وكأنها بنية يختبر فيها الفكرة. ومن الواضح أن سهلاً اعتمد مكانًا رمزيًّا لمجريات وقائع قصته، فهي جزيرة نائية بعيدة عن الحاضرة،؛" لذا فقد قام السارد بتشكيل البيئة المكانية، واهتم ببنائها بشكل سردي، وساعد الحوار على هذا التشكيل"[٨]، فكان موفقًا في إعطاء هذا الفضاء المكاني(الجزيرة) بعدًا حجاجيًا من خلال قدرته على إنتاج خطاب حجاجي يهدف إلى تحقيق الغلبة والانتصار للسلطة، والهزيمة والانكسار للخارجين عليها

الحجاج التمثيلي في (النمر والثعلب)

كان مسعى سهل بن هارون في قصته إرساء وترسيخ نوعية من العلاقة بين الحاكم والولاة والرعية، محاولًا معالجة قضية تمس الواقع في تلك الفترة الزمنية التي عاصرها وشهد أحداثها في العصر العباسي، فعرض لهذه القضية بطريقة حجاجية ودعمها بالبراهين، مستعينًا بآليات الحجاج المختلفة التي تسهم في التأثير في المخاطب وإقناعه، وتحقق غاية المتكلم في إيصال المعنى المقصود. لقد قدم سهل بن هارون قصته على ألسنة الحيوانات، حاول فيها إقناع القارئ بفكرة الولاء للسلطة؛ فكانت العناصر القصصية بأسرها عناصر سردية وحجاجية في آن، فالشخصيات والحبكة والحوار والشواهد والصور وغيرها، تتفاعل فيها البنية الحكائية مع التوجيه الحجاجي والمرامي الإقناعية. إذ يحاجج سهل بن هارون في قضية التزام الفرد تجاه السلطة وبيان دور العقل في حل النزاعات والصراعات، عبر عملية استعارية تتداخل فيها مملكة البشر ومملكة الحيوان،

وحدود السلطة هنا وهناك، بالطبع فإنه يقوم بعقلنة عالم الحيوان لحساب فكرة الاجتماع البشري، وطبيعة الأدوار في مملكة الإنسان، بإسناده هذا الدور لعالم الحيوان؛ لذا تكون عمليات استعارة الحيوانات محكومة بسمات غريزية فيها مثل الطمع والشجاعة والمكر والأمانة، فتلك السمات هي محل المقايضة بين عالمي الإنسان والحيوان، فتقوم الحيوانات في القصة بدور البطولة حسب تلك الموجهات، فالنمر يمثل السلطة/ الحاكم، بينما الثعلب والذئب يمثلان الطامحين في السلطة المراوغين لها أو المتمردين عليها.

ويدور الحوار في هذه القصة حول الخروج على السلطة أو الانصياع لأوامرها، من خلال سرد قصة على ألسنة الحيوانات، فهو يرتب نظام الحكم على مملكة الحيوانات، فالنمر يمثل السلطة/ الحاكم، والذئب يمثل الولاة/ الرعية (خارج على السلطة)، أما الثعلب فيمثل الوزير/ المستشار من الرعية (مع السلطة) خاضع لأوامرها. لذا فإن الحجاج في هذا النص أثمر أنه لم يعد للذئب وجودًا، بينما حظي الثعلب بالقرب من السلطة والعيش في كنفها، تقول إنصاف المومني:" وما كان لسهل أن يحقق هدفه هذا لولا هذا القالب الفنيّ "القص على لسان الحيوان"، الذي اتخذه إطارًا يضمن له القول فيما يريد، وكأنه مجرد راوٍ يروي ما سمعه بحياديّة، مستهلاً قصته بقوله:" ذُكر أن"، وكأنها سند لروايته تكفل له تجنب المساءلة، هذا مع أنّ سهلا في هذه القصة لا يخالف الخليفة الشرعي، أو ينتقص من قدره، بل هو حريص على السمع والطاعة، متأثرًا بوجهة نظر قومه الفرس إلى الملوك، في أنهم أصحاب حقّ إلهي في الحكم وأن طاعتهم واجبة"[٩] .

من الجلي أنه أسند لأبطال قصته صفات تكاد تكون معلومة شائعة عن تلك الحيوانات، فقد أسند للثعلب صفات المكر والدهاء وإعمال العقل والتدبر، وأسند للذئب الغدر والخيانة وعدم الوفاء، والأسماء التي أطلقت على تلك الحيوانات دالة على هذا التوجيه الحجاجي المسبق حول هذه الحيوانات، أو بمعنى أوضح

تتقاطع مع المعرفة المسبقة للمتلقي عن عوالم هذه الحيوانات وصفاتها، مما يؤول في النهاية إلى تمكين الحجاج حول مآله. وهذا ما عهدناه من صفات لتلك الحيوانات، ونراه يدافع بقوة عن دور العقل وإعمال الفكر والاجتهاد، كل ذلك يتضح في آرائه وتوجيهاته المطروحة طوال القصة على ألسنة الحيوان؛ لذا شكل هذا البناء الاستعاري والمزجي إطارًا عامًا للحجاج، ويدعم هذا الإطار الاستعانة بشواهد من أشعار العرب، وحكمهم، وأمثالهم.

يمكننا البدء بتحديد القضية أو الدعوى التي يحاجج حولها الكتاب من خلال الوقوف على المقدمة الوجيزة التي بدأ بها سهل كتابه، فقد اعتمد سهل على الأساليب البلاغية المختلفة لكونها أكثر بيانًا وأقوى حجاجًا لحمل المتلقى على الإمعان والتأثير، يقول أبو هلال العسكري في أفضليتها بأنها:" ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبيّة المستصعبة، ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحجة، فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب، من غير أن تهيجه وتقلقه، وتستدعي غضبه، وتثير حفيظته"(١٠). فبعد حمد الله والثناء عليه معددًا نعمه ومذكرًا بآلائه سبحانه في أسلوب بلاغي فصيح يتضمن محسنات بديعية متنوعة، وشهادته بوحدانية الله تعالى، وبرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذكر محاسنه وصفاته– في قوله: "أما بعد أيدك الله بتوفيقه، وعصمك بتسديده...فإني رأيت أن أصنع لك كتابًا في الأدب والبلاغة والترسل والحروب والحيل والأمثال، والعالم والجاهل، وأن أُشرب ذلك بشيء من المواعظ وضروب من الحكم، وقد وضعت من ذلك كتابًا مختصرًا موعبًا شافيًّا، وجعلته أصلًا للعالم/ الأديب والعاقل الأريب مما أمكني حفظه واطرد لي تأليفه، والله نسأل العون والتوفيق والتسديد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"(١١).

هناك إفصاح وتستر في غرض الكتاب منذ البداية، إذ يوضح أنه غرض عام يجمع الأدب بالحكمة، وتقديم النصح سواء في ذلك العالم والجاهل، مؤكدا

توخي العقل بوصفه أصلًا فيما يقول، ليكون سبيلًا لغيره من عقلاء الأدباء، مما قد يوحي بطرف خفي بنوع من التلميح برسالة (كليلة ودمنة) لابن المقفع، ومحاولة تعديل مسار الحجاج حول مملكة الإنسان وقواعدها ووسائل الحكم والعلاقة معه. ثم يتكشف الغرض المضمر بعد ذلك عبر الحجاج بالمثال السلبي ممثلًا في الذئب. محذرًا من مآله، ومعبرًا عن وجهة نظره التي مفادها أن الرعية ينبغي عليها الولاء والطاعة للحاكم، وإلا ستلقى المصير نفسه الذي لاقاه الذئب. ويتوقع من سهل الذي يؤدى دور المخاطِب أن يدافع عن وجهة نظره تلك، أما المتلقي الذي يتمثل في الرعية/ العامة وغيرهم، التي ينبغي عليها الامتثال والإذعان.

بعد أن افتتح سهل كتابه منطلقًا من فكرة أن الولاء والطاعة للحاكم من صفات العاقل والعالم الذي ينعم بالقرب من السلطة، وأن الخروج عليه من صفات الأحمق والجاهل ونهايته الهزيمة والموت. بدأ في تحديد هدف كتابه، فنراه قد بين الهدف من تأليفه وهو جعله أصلًا للعالم الأديب والعاقل الأريب، وكأنها قضية منطقية تدور فيها النتائج مع الأسباب، والعلة مع المعلول وجودًا وعدمًا، فاعتمدهما كحجتين لدعم وجهة نظره، ويوضح البناء الحجاجي الذي ساقه لدعم كلامه أن الحجتين مترابطتان (لا ينبغي الخروج على السلطة). وينتج عن هذه الحجة المنطقية جانبان هما:

١- الخروج والخيانة مصيره الهزيمة والموت.

٢- الولاء والطاعة للسلطة يقود إلى القرب والاستقرار.

وهما يرتبطان بالسمع والطاعة، ويدلان على تحكيم سلطة العقل وتعدل العلم، ونقيضهما الخروج والعصيان بوصفهما دليلين على الجهل. وهي حجج واقعية تثير اهتمام المتلقي، وتدعوه إلى التصديق والتأثر والإقناع.

هذه البنية تغزل على منوال الحجاج التراثي حول عملية التضاد بين الترغيب والترهيب، أي نثر فضائل الطاعة ومضار المعصية، وثمار الولاء

وأوزار المعاداة، فالأولى جالبة لمنفعة، والثانية مصدر المضرة، والعاقل من آثر المنافع واجتنب المضار، وسعى لتحصيل القرب على البعد. والهدف من هذا الحجاج تنزيل التنازع حول السلطة في صورة تجارة رابحة متى فهمت الغاية ومقدار القوة، وعظم المكاسب، وفداحة الخسائر، فالحجاج ليس في عالم مثالي بل في عالم واقعي تحدده (المصالح). ومعنى هذا، أن سهلًا يؤسس موقفًا تواصليًا مع المتلقي مستخدمًا وسائل متنوعة من أجل إقناعه بالقضية المطروحة، مقدمًا كل ما يملك من براهين ودلائل تؤكد دعواه، من أجل جعل المتلقي يسلم بها. يقول فيليب بروطون:" ففي الواقع، يفترض الفعل الحجاجي أن الشخص الذي يخضع له، يدرك أنه مندمج في موقف تواصلي. ولا ريب أن من يجهد نفسه للإقناع "في الفراغ"، أو من يتوجه إلى" المتلقي الكوني" – كما سماه بعض الفلاسفة– هو شخص غير محدد، سيواجه بعض الصعوبات."[١٢]. فلما كان السَّرد يدور حول الخروج على السلطة أو الانصياع لأوامرها، من خلال سرد قصة على ألسنة الحيوانات؛ لذا فإنه يرتب نظام الحكم على مملكة الحيوانات، فالنمر يمثل السلطة/ الحاكم، والذئب يمثل (من هو خارج على السلطة)، أما الثعلب فيمثل الرعية (مع السلطة) خاضع لأوامرها. وقد توصل الباحث أحمد عبد الكريم إلى ذلك بقوله:" فإن قصة النمر والثعلب نص أدبي سردي متميز في مراميه ورموزه وشخوصه، بالإضافة إلى غناه بالدلالات والمضامين الرمزية التي تجسد العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الواقع السياسي والاجتماعي في عصر القصة آنذاك، فجاءت أحداث القصة متسلسلة مترابطة، من خلال السرد القصصي باستخدام شخصيات إنسانية تقنعت بالشخصيات الحيوانية الرمزية"[١٣].

ويفصح هذا النص بشكل واضح عن البعد الحجاجي الذي يمارسه سهل بن هارون، حيث يدافع فيه عن رأي يوجهه إلى فئة من المتلقين الذين تتباين وجهات نظرهم وتختلف هويتهم؛ وذلك للإقناع بأنه ينبغي الإذعان للسلطة وعدم

الخروج عليها، وبيان عقوبة الخارج عليها ومصيره، وهو ما أفصح عنه عندما رسم نهاية الذئب الأليمة نتيجة تكبره وعناده ومعارضته السلطة، وإظهار البون الشاسع بين تلك النهاية ونهاية الثعلب الحكيم، الذي استطاع أن ينجو بنفسه ويكافأ من قبل السلطة ويعيش في كنفها نتيجة تدبره وإعمال عقله، وثقافته الواسعة وسرعة بديهته، وتوفيقه في كل ما وكل إليه.

ويبدو للاستعارة/ التشخيص دور كبير في توجيه الخطاب، حيث تأتي الملفوظات الحجاجية محملة بالاستعارات، " فالأقوال الاستعارية أعلى حجاجيًا من الأقوال العادية"(١٤)؛ لذا مزج سهل (النمر والثعلب والذئب) بالإنسان، ومنحهم بعض صفات الإنسان مثل (التكلم، والتفكير، والعقل، والتأمل، والحوار)، وغيرها من الصفات التي تختص بالإنسان دون سائر المخلوقات. وربما نحا هذا المنحى بغية إثارة المخاطب والتأثير فيه، من خلال رسم صورة مختلفة عن طريق الاستعارة التشخيصية،" فلم تغب عن بال سهل وهو يختار هذا المسلك المتعة الفنية، والقيمة الجمالية، التي تنبع من إدهاش المتلقي وهو يرى الحيوان يقلد السلوك الإنساني"(١٥)؛ حيث نقل الحيوان من صورته الأصلية إلى صورة أخرى تحمل صفات الإنسان من خلال اللغة المجازية" فتكون الاستعارة بذلك أدعى من الحقيقة لتحريك همة المستمع إلى الاقتناع بها والالتزام بقيمها؛ فالمستعير يقصد أن يغير المقاييس التي يعتمدها المستمع في تقويم الواقع والسلوك، وأن يتعرف المستمع على هذا القصد منه وعلى معنى كلامه، وما يلزم عنه، وأن يكون هذا التعرف سبيلًا لقبول خطابه ولإقباله على توجيهه"(١٦). فنراه يعطي للخائن من بني الإنسان اسمًا يلائمه من جنس آخر، وهو الذئب، وكذلك يعطي للماكر صاحب الدهاء اسم الثعلب. وفي هذا استثمار لقوة الحجاج في الأسماء وعملية المزج بين المعنى والصفة وتعديلها إلى مسمى آخر، وقد أكد على هذا "ميشال لوغرن Michel Leguern بقوله: "إن كلمة حمار عندما تطلق على الحيوان طويل الأذنين، أقل دلالة على القدح مما إذا استخدمناها في حق شخص ما،

كما أن كلمة نسر عندما تدل على طائر هي أقل مدحًا مما إذا وصفنا بها شخصًا ما، وبعبارة أخرى إن قوة الحجاج في المفردات"[١٧].

حجاج القدوة والقدوة المضادة، والشاهد والمثال:

تدور رحى القصة بين دوائر ثلاث، أو شخصيات ثلاث مركزية، هي:

- النمر (الملك)،
- الذئب (أحد الولاة أو العمال)،
- الثعلب (المستشار أو الحكيم)،

وتتوزع مجريات الحبكة أو الصراع القصصي بين تعارض إرادات النمر الطاغية الذي يُخضع جميعَ الرعية لسطوته، وغلبة نفوذه، والذئب المتمرد المراوغ الذي يهاب المواجهة بداية ثم يتورط في أذيال السلطة حتى وصل لمراده منها، ثم ناصبها العداء وتقلب عليها. تبدأ القصة بثعلب يحتال طلبا لرزقه، ساقته الأقدار لجزيرة وجد فيها ذئبًا ضاق به الحال ونزل به الخوف من النمر الغاشم، فنصحه بأن يأتي النمر/ الملك ويطلب خدمته على ناحية من الجزيرة مقابل نصف ما يحصل عليه من فرائسها وغنائمها، وبعد سوق الحجج بينهما يأتي الذئب (النمرَ) ويكون ضمن حاشيته وولاته، لكنه ما لبث أن تجرأ على الملك وخلع عنه طاعته، فدخل في حروب معه فتوالت انتصاراته على الملك ثم كانت عاقبته القتل، ونجا الثعلب الذي كان مستشار الذئب ووزيره، فعرض خدماته على النمر، وأظهر في جواباته معه عن حكمته وذكائه، فاستبقاه النمر وزيرا له.

هذا التوزيع للشخصيات يمكن ملاحظة أنه ليس توزيعًا عبثيًا، بل تصميمًا حجاجيًّا حول الإطار العام للسَّرد أو الدعوى الكبرى للتمثيل، فانتخاب الشخصيات هنا دال على ما تحيل عليه، فليس ثمة نمر أو ذئب أو ثعلب على التحقيق بل أدوار وتمثيلات كل منها يقدم بوصفه نموذجًا أو قدوة أو قدوة مضادة يستفاد منها العبرة، ويستخلص منها الدرس، إذ يقدم في الملك رمزية السلطة في قوتها وبطشها والوزراء في رواغهم وحكمتهم والولاة في طمعهم

وتقلبهم، ولا شك أنه يضع الوزراء والحكماء في موضع الوساطة والتوسط بين الملوك والولاة والملوك والرعية.

ومن هنا نرى سهلاً يقدم شخصية الملك المتمثلة في النمر قدوة يحتذى بها في الحكم والسيطرة والإدارة، وامتلاك زمام الأمور، والمشورة، وهنا يؤسس سهل لقاعدة المشورة التي يتميز بها الملك، وهذه الحالة" يمكن أن تُقدَّم كقدوة يُحتذى بها. لكن ليس أي فعل أهلًا لأن يُحتذى : فالمرء لا يحتذي إلا بمن يُعجب بهم، وبمن يتوفرون على سلطة، وعلى هيبة اجتماعية تعود إلى كفاءتهم أو وظائفهم أو وصفهم الاجتماعي"(١٨). يقدم سهل صورة الملك كقدوة، عندما أظهر الصفات التي ينبغي أن تتوفر في السلطة من الحكمة والقوة والمشورة وغيرها. يتضح ذلك في مواقف عديدة توضحها الأحداث، منها الرسائل التي أرسلها إلى الذئب مرة للتنبيه، ومرة أخرى للتحذير وثالثة للحرب، وهنا ينتفي عن الملك الغدر والجبن وغيرها من الصفات المذمومة. ولعل في استشارة وزرائه ما يوضح ذلك" فلما قرأ الملك الكتاب علم أنه قد أجمع على الخلاف عليه والمحاربة له، فجمع وزرائه، وكانوا ثلاثة، فاستشارهم في أمره"(١٩). وفي موضع آخر، عندما أراد أن يعرف رأيهم فيما يخص الثعلب، يقول:" ثم التفت إلى وزرائه فقال: ما تأمرون"(٢٠)، وأيضًا عفوه عن الثعلب بعد أن سمع له وأعطاه فرصة الدفاع عن نفسه، وهنا يظهر العدل والتسامح والعفو، "قال النمر: فإني قد رأيت أن أعفو عنه..."(٢١)، وهذه العبارة توضح أن الملك يقرر ما هو أفضل بعد سماع الآراء المختلفة، وهنا يتضح دور القدوة في حكمها بنفسها وأن القرار الأفضل يرجع إليها.

وفي المقابل نجد سهلًا يقدم الذئب كقدوة مضادة، فالذئب يتصف بالغدر، والخيانة، وعدم الوفاء بالوعد، وعدم الولاء للسلطة، ومقابلة الخير بالشر، ونكران الجميل، وكلها تعد منطلقًا لحجة مضادة بغية النفور من تلك الصفات السلبية، وكأنه يحذر من التشبه بهذا الحيوان الغادر، من خلال إلصاقه بتلك الصفات المذمومة، وهنا يمكن تمثل قول بيرلمان:" ويكفي إسناد سلوك ما للقدوة

المضادة لكي يسعى المرء إلى التميز عنها. يؤكد لوشوفاليي دو ميري (Le Chevalier de Mere) أثر القدوة المضادة في السلوك قائلًا:" ألاحظ أيضًا أن المرء لا يهرب من الذين يثيرون النفور فحسب، بل يكره كل ما ينتسب إليهم، ولا يريد أن يشبههم إلا في أقل ما يمكن. فإن أثنوا على السلم، أثاروا لديه الرغبة في الحرب؛ وإن كانوا أتقياء منضبطين تاق هو إلى التهلك والفوضى"[٢٢]. وهناك كثير من المواضع التي تتضح فيها الصفات المذمومة للذئب، مثل قول سهل:" وخاس الذئب بعهده، وأخلف وعده، حتى اشتد ذلك على النمر.."[٢٣]. و قوله على لسان الثعلب محاورًا الذئب:" قال الثعلب: إن الملك استبطأك فيما كنت وليت له إذ أخلفت له بوعدك، وأكذبت به حظك، فحركك بهذا الكتاب..."[٢٤]. ويظهر أيضًا في قوله على لسان الثعلب:" فلقد امتد بك البهتان، وخطئت فيما لم يخطئ فيه إنسان"[٢٥]. و يريد سهل أن يفصح عن ضيق خلق الذئب في أكثر من موضع، وعدم أخذه بما يقدم إليه من نصائح من الثعلب، وتهوره وسرعة رده، يتضح ذلك في مثل قوله:" اكتب ولا تراجعني"[٢٦]، وقوله:" اكتب له بتجديد الخلاف عليه"[٢٧].

من خلال تقديم سهل للقدوة مجسدة في النمر(الملك)، والقدوة المضادة مجسدة في الذئب (أحد الولاة)، فإنه يمكن القول بأن سهلا أراد أن يقدمهما كحجة على الاتباع أو الابتعاد، يقول بيرلمان: إذا كانت الرغبة في التشبه بالقدوة توفر توجيهًا كافيًا، فإن هناك طرقًا مختلفة عن القدوة المضادة. والسياق هو الذي يحدد الوجهة الواجب اتباعها"[٢٨] فمن لا يود أن يشبه الذئب، سوف يتقرب من الملك.

إن سهلاً يسعى من خلال كتابه لوضع قاعدة وهي(الخروج على السلطة يعني الهلاك)، وقدم حالة الذئب شاهدًا على ذلك، فالذئب غادر، متمرد، متقلب المزاج، ناكر للمعروف، مخلف للوعد، هذه الصفات التي ألصقها سهل بالذئب في القصة، هي نفس الصفات التي يتصف بها الذئب في الحقيقة والواقع، فقد

قابل معروف النمر معه بالنكران والتمرد والغدر؛ مما أدي به إلى الهلاك والفناء، وربما هذا مما يمنح القصة مصداقية، تؤكدها الأحداث، وهذه طريقة يلجأ إليها بعض الكتاب لإعطاء المصداقية لحكاياتهم، يقول بيرلمان:" لقد استفاد بعض الكتاب، من أمثال إدغار بو (Edgar poe) وفيليي دو ليسل آدم(Villiers de) LISL–Adam، من خاصية الشاهد هاته لمنح الصدقية لحكاياتهم العجيبة: إذ يستهلونها في الغالب، بذكر قاعدة يفترض في الأحداث التي تسردها(تلك الحكايات) أن توضحها"(٢٩).

ويمثل حقد الذئب على النمر وتناقض رأيه فيه شاهدًا مقصودًا تكذبه الأفعال التي يتصف بها النمر، يقول الذئب موضحًا للثعلب صفات النمر: "ها هنا نمر يقال له المظفر بن منصور قد تملك على هذه الجزيرة وغلب عليها وهو من شراسته وبخله وضيق خلقه على ما قد عرفت من صفة النمور"(٣٠).ومما يدعو للمفارقة أنه نعته بهذه الصفات، ثم تأتي الأحداث موضحة عكس ذلك، فهو عندما قصد النمر في ولاية، وافقه وصدقه وأعطاه إياها يقول:" فقال: يا أيها الملك، إني لما أنا عليه من المناصحة والمولاة تأملت باب الملك، فوجدته خاليًا من صالح الأعوان وثقات الخدم، ولما رأيت الملك كثير الكلف، عظيم المؤن، رحب العناء، جزل العطاء.. فأعجب النمر كلامه وطمع فيما وعده فقال له: صدقت وبررت وأنا مستكفيك ومقلدك، فانظر كيف يكون ضبطك وكفايتك وغناؤك ووفاؤك.."(٣١).

وهنا يمكن القول إن الأحداث جاءت لتكذب الصفات السابقة للنمر، يقول شاييم بيرلمان:" وتستخلص تأثيرات خطابية من استعمال شاهد غير مناسب عن قصد، وذلك حين تُكذب الأفعال الموصوفة القاعدة أو النعت الذي يسبق ذكرها"(٣٢). ومما يدعو أيضًا للسخرية وصف الذئب نفسه بالوفاء والصدق والولاء في قوله:" ندبت نفسي للذي رأيتني أقوى عليه من حسن السياسة، وضبط الناحية التي أتولاها، ورد المنفعة على الملك منها"(٣٣). فهذا الشاهد الذي استعمله سهل

في منح الذئب تلك الصفات جاء عن قصد وعمد ليبين التناقض بين أقواله وأفعاله، وتأتي الأفعال لتكذب تلك النعوت السابقة، يقول:" فخرج الذئب إلى عمله، واستخلف الثعلب، وأحله محل الوزير الكاتب فلما صار إلى تلك الناحية كمن الذئب على شريعة الطريق، ورأبأ له الثعلب، فأقبلا يصيبان كل يوم حاجتهما، حتى صلحت أحوالهما، ورقت أوبارهما، وصفت جلودهما، وتفتقت سمنا جلودهما، وخاس الذئب بعهده، وأخلف وعده، حتى اشتد ذلك على النمر"[٣٤]، فهذه الحالة الخاصة تعلن عن قاعدة عامة تعززها بواسطة الشاهد:(لا يؤتمن الخائن).

ويمكن القول إن سهلاً أسس بناء حجاجه على القدوة والشاهد لينوع من طرائق التعليم والتوجيه، إضافة إلى استمداد المثال الدال من تلك القصة الرمزية، يقول بيرلمان:" أن يحاجج المرء بالمثال(Lexemple) يعنى أن يفترض وجود أمور منتظمة (قابلة للتقعيد) تقدم الأمثلة تجسيدًا لها. وما يمكن أن يناقش، حين يُلجأ إليها، هو المدى الذي تتسع له القاعدة، ودرجة عموميتها التي تبررها الحالة الخاصة، وليس مبدأ التعميم نفسه"[٣٥].

ويلاحظ أن سهلًا قد قدم الثعلب مثالًا على حالة خاصة يسعى من خلالها إلى حالة التعميم، فالثعلب تميز بالعقل والحنكة والتدبر وسعة الاطلاع والعلم الغزير، كل هذه الصفات كانت سببًا في نجاته و تقريبه من السلطة، أيضًا ما يتمتع به الثعلب من ثقة بالنفس يتضح ذلك في قوله:" أيها الملك ملكت فاسمح، وإن أحببت أن تزداد سعة في ملكك وبسطة في حديثك فاستبقني"[٣٦]، فقد علق الثعلب اتساع ملك النمر وبسطة حديثه ببقائه، وهذه قمة الثقة فيما عنده وما يملك من قدرات خاصة تؤكد كلامه وثقته الكبيرة في نفسه؛ "من ذلك نلمح بشدة تعاطف المؤلف مع شخصية الثعلب، تلك الشخصية المهادنة، التي تمتلك من الذكاء واللياقة ما يجعلها قادرة على تجاوز الهزات العابرة، وكأنه يقدم –في

شخصيته تلك–النموذج الذي يجب أن يحتذي به قارئ القصة، فيكون مثالًا له في حياته"[٣٧].

يأتي رد الملك على كلامه بعد استشارة وزرائه:" قال النمر: فإني قد عفوت عنه، ولكن امتحنوه في مقامكم هذا، واختبروا عقله بما تسمعون من صحة حجته، وبيان مباراته، فإن العقل ينتظم من أنواع أطباع الصورة الجنسية، فإن رأيتموه موضعًا لصحبتنا فألزموه أبوابنا، وإن لم يكن لها أهلًا فادفعوه عنها؛ وسئلوه بحيث أسمع.."[٣٨]. وبعد اختبار الوزراء الثلاثة للثعلب، تأتي النتيجة ممثلة قول سهل:" فأعجب النمر ما سمعه من كلامه، ورأى من حسن عقله، وجودة منطقه وألفاظه، ونفوذ رأيه، وثبوت حجته، فأمر له بجائزة سنية، وأمره بالمقام في جواره وبقرب داره، فكان يرتئيه في خطب إن فدح، وأمر إن سنح، ويعمل برأيه ومشورته إن هلك"[٣٩]. وهنا يمكن القول إن سهلًا أراد أن يقدم حكاية الثعلب مثالًا على المحاولة وعدم اليأس، والخروج من العتمة والتيه، هكذا "تقدم درسًا في التفاؤل والثقة في المجتمع الذي يتيح مثل هذا النجاح، حتى وإن لم يستخلص منها درس واضح"[٤٠].

حجاج الأمثال والحكم والأقوال السائرة

تستمد الأمثال السائرة، والأقوال الحكيمة حجيتها من كونها مخازن للخبرة، ومستودعات للحكمة، وخلاصات للتجارب، يقول ابن عبد ربه: "الأمثال هي وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلى المعاني، والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها في كل زمان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، ولم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها حتى قيل: أسير من مثل"[٤١]. ولهذا فهي تقام مقام المقارنة بين الأمور، وإقامة الصلات الذهنية بينها، أو ابتكار تلك الصلات. وليس من شك أن اعتماد سهل بن هارون على المثل بوصفه وسيلة وأداة واسعة التوظيف، يستمد وجاهته من كونه فرعًا عن فنوع البلاغة، وجنسًا من أجناس الخطاب الأدبي الشائع، تأكيدًا لفعل الاستيعاب

للرصيد البلاغي وتوظيفا له، فضلًا عن تبني أهدافه التعليمية التوجيهية للخطاب. وقد توصلت الباحثة فايزة عليلو إلى " اعتبار المثل في هذا الكتاب خبرًا حجاجيًا توصيليًا"(٤٢) فأدى دوره الحجاجي في دعم القضية التي يحاجج من أجلها، حيث يظهر في أمثال النمر والثعلب البعد الحجاجي بوضوح كاشفًا عن الغاية المرجوة، وهي تأصيل فكرة الولاء للحاكم وعدم الخروج عليه؛ لذا فقد سعى سهل إلى توجيه المخاطب وإقناعه من خلال الأمثال التي تعد دعامة أساسية من دعائم الحجاج" فقد اعتاد الناس تقبل مضامين الأمثال، باعتبارها من خلاصة تجارب العقلاء من الأجداد، وهي مدعمة في الغالب بمجانسات صوتية تقوي الشعور بصحة محتواها"(٤٣)

ومن جهة أخرى، تعتمد الأمثال على أساليب البلاغة المختلفة وفنونها المتنوعة، مما يكون له أثر كبير في التأثير، واستمرارية عملية التواصل اللغوي. ومن ثم قدرة التأثير في المخاطبين وإقناعهم، بوصفها أداة تعبيرية للتواصل، حيث تبين عن العادات والتقاليد داخل المجتمع، فتبعث في نفس المتلقي استجابة وتأثيرًا فيما يشابهها من أحداث، إذ تعد الأمثال من فنون القول البلاغية التي تساعد في عملية التفاعل الرمزي بين أفراد المجتمع، لما لها من قدرة استمالة المخاطبين، وهو ما يؤكده الماوردي حين قال: "لها من الكلام موقع الإسماع والتأثير في القلوب، فلا يكاد المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها؛ لأن المعاني بها لائحة، والشواهد بها واضحة، والنفوس بها وامقة، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة، فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز، وجعلها من دلائل رسله، وأوضح بها الحجة على خلقه؛ لأنها في العقول معقولة، وفي القلوب مقبولة"(٤٤)، لذا اعتمدها العرب في عملية التواصل منذ القدم.

لعلنا نقول خلاصة لذلك إن (الحجاج بالأمثال) وسيلة في التعبير والتأثير من خلال استحضار الصورة وتمثلها في ذهن المخاطب تمثلًا جامعًا بين البلاغة والإقناع على نحو ما يذهب إليه بيرلمان قائلا: "إن اللجوء إلى تأثيرات

اللغة وإلى قدراتها على الاستحضار هو الذي يحقق الانتقال بين البلاغة باعتبارها صناعة الإقناع والبلاغة بوصفها تقنية للتعبير الأدبي"(٤٥).

إن المركز الحجاجي الذي يدور حوله استثمار الأمثال يتأتى لها من طبيعتها الدلالية المقارنة، التي تستدعي سياق المقارنة والمقايسة والتمثيل والاعتبار؛ لذا كانت الأمثال في النمر والثعلب متواترة، ومتنوعة، بل لا يخطئ القارئ وفرتها وكثرتها التي تكاد فيها الأمثال تتوالى وتتعاقب في جمل متتابعة، فلا تكاد تخلو فقرة من مثل أو جزء من مثل، وكأن سهلاً كان مدفوعًا دفعًا لاستعراض أكبر عدد من محفوظاته وتدوين طريفها وتليدها، وقد علق الباحث محمد عبد الرزاق على أحد نصوص القصة بقوله:" ونلاحظ هنا أن سهلًا قد جمع في نصه سبعة مسترفدات تنتمي إلى ثقافات مختلفة، ودمجها كلها في نسيج واحد لا تستطيع معه أن تفصل بين تلك المصادر، وكأني به يقدم أنموذجًا حيًا لموسوعية الامتياح، وهو ما يكشف عما تتسم به العربية من مرونة وسعة مكنتها من استيعاب مسترفدات متعددة المصدر في نص واحد لا يتجاوز سبعة أسطر"(٤٦)، ولا شك في المسلك التعليمي وراء ذلك في تأطير الخطاب السَّردي، لكن من جهة أخرى، كانت لهذه الأمثال قيمتها الحجاجية، التي تقع في موقعها، فقد اعتمد الأمثال حججًا موظفًا إياها في مواضع مناسبة وملائمة للحدث باعتبار أن "المثل حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، و يراد استنتاج نهاية أحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها"(٤٧).

لقد تسربت الأمثال في كل مواضع الرسالة، فاستغلها الخطاب في تمكين الحجج في المسائل العظيمة الجليلة، والمسائل الهينة اليسيرة، حتى بسائط الأمور وعوارض الأحداث. وأول ما يواجهنا مثالًا على ذلك، ما جاء في الحوار الذي أقامه سهل بين الثعلب وزوجته بشأن الخلاف على ترك مكان إقامتهما والانتقال إلى مكان آخر، إذ كل منهما يحاول إقناع الطرف الآخر بوجهة نظره من خلال تقديم البراهين التي تدعم حجته، وقد كان للاستعانة بالأمثال دور كبير

في هذا الجانب. وفي حوار الثعلب(مرزوق) وصديقه(طارق)، حول إقناع الثعلب طارق (أبي المغلس) لصديقه مرزوق (أبي الصباح) بترك مسكنه خوفًا من السيل، يلجأ كل منهما إلى الاستعانة ببعض الأمثال التي تدعم وجهة نظره وتقوي حجته، يتضح ذلك من خلال الحوار التالي:" ذكر أن ثعلبًا يقال له مرزوق ويكنّى أبا الصباح أقام في واد لم يكن به غيره، فعبر عليه زمان وهو في حسن الحال، آمن السرب، رخي البال. فمر به صديق له من الثعالبة يقال له طارق ويكنى أبا المغلس، فنزل عليه فأحسن ضيافته وأكرم مثواه، فقال له طارق: يا أبا الصباح، كل أمرك جميل وكل فعالك فعلى سبيل حزم وصواب تدبير، وأنه لأحق منزل بترك. فقال له مرزوق: يا أبا المغلس: وما الذي أنكرت على منه وغمصت على فيه؟ فأنت من لا أتهم عليه في عقله ونصيحته لأهل مودته، وما عقالك لهم بأنشوطة. وإني لعلى حبل ذراعك..... فقال له طارق: إن أخاك من صدقك، والشفيق بسوء الظن مولع، وإني أراك في واد عظيم وبه من آثار السيل ما ترى، وما تدري ما يحدث ولست آمن عليك، أن يدهمك منه بالليل مالا طاقة لك به، وهو أحد الأبهمين والسيل حرب للمكان العالي، فنشدتك الله في نفسك وأهلك إلا تحولت من هذا الموضع واستبدلته بغيره، فقال له مرزوق: فأنت من لا أتهم في رأيه ومشورته وسأتقدم إلى زوجتي في التحويل"[٤٨].

لعلنا نلحظ ما أشرنا إليه من تكاثر الأمثال وتوالدها وتتابعها في الحوار المقتبس، إذ نرى تلك الأمثال متتابعة: (وأنه لأحق منزل بترك) [٤٩] و (وما عقالك لهم بأنشوطة)[٥٠]، و (وإني لعلى حبل ذراعك)[٥١] و:(والشفيق بسوء الظن مولع)[٥٢] و:(العَزِيمَةُ حَزْمٌ، وَالاخْتِلاَطُ ضَعْفٌ)[٥٣]، وشطر بيت دال صار مثلًا:(السيل حرب للمكان العالي). وجميع تلك الأمثال مستغلة في باطن الخطاب بوصفها خبرات وخلاصات متعاقد على صحتها وقوتها وصدقها؛ لذا تمثل أدلة ضمنية على ادعاء كل طرف، ووجاهة وجهة نظره. ولعل مقام النصح والتوجيه هو المقام الذي كفل لهذه الأشتات من الأمثال المتفارقة أن تكون

متقاربة متلاحمة. فالثعلب (طارق) يقنع صديقه الثعلب(مرزوق) بوجهة نظره في ترك منزله؛ لذا نراه استعان بهذا المثل -وأنه لأحق منزل بترك- ليدعم حجته، وقد جاء مؤكدًا ليكون أكثر تأثيرًا في الثعلب(مرزوق) الذي يسكن في مكان سوء وعليه تركه؛ لذا فهو يبذل جهده في تقديم البراهين التي تدعم رأيه. ثم يتكلم مرزوق بمثل – وما عقالك لهم بأنشوطة- ليدل على تقبل النصح ومبادلة الرأي بالقبول، فهو يثق أن صديقه(طارق) قريب منه ومحب له ومخلص في رأيه؛ لذا نراه استعان بهذا المثل المشتمل على النفي، لينفي أي شك أو ريبة تشوب علاقتهما، وبذلك يكون النفي قد أدي دوره التوجيهي؛ باعتباره إنكار لشيء ما أو نقضه في مقابل إثبات شيء آخر. ثم يعقبه بمثل آخر وهو قوله- وإني لعلى حبل ذراعك-الذي يوازي المثل السابق فيما يقصده المتكلم، فبعد أن أقر بمودة صديقه له، يأتي هذا المثل كنوع من رد الجميل بالموافقة على رأيه، فهو كما يريد طاعة وانقيادًا له. فضلًا عما اشتمل عليه المثل من مؤكدات، تجعله حجةً ودليلًا على التسليم برأيه.

ويأتي كلام الثعلب(طارق) بتوضيح منزلة الأخوة وما يجب فيها من الصدق والإخلاص بقوله: "إن أخاك من صدقك"، ولإثبات ذلك يستعين بهذا المثل في قوله:(والشفيق بسوء الظن مولع) فهو يقدم المثل كحجة على اهتمامه بصديقه واعتنائه بأمره، وتحسبه لكل ما يتوقع أن يمر به من أحداث.

ويتوالى ضرب الأمثال على لسان الثعلب(طارق) ليدعم وجهة نظره وتحقيق هدفه؛ وهو إقناع صديقه(مرزوق) بترك مسكنه هو وزوجته، فنراه يسوق هذا المثل:(العَزِيمَةُ حَزْمٌ، وَالاخْتِلاَطُ ضَعْفٌ). موضحًا قيمة الحزم في اتخاذ القرار محبذًا إياه وداعيًا إليه، وسلبيات الشتات في الرأي منفرًا منه، وسياق الحجاج جاء مبنيًا على إبراز رأيه ونصيحته والأخذ بها، وهدم رأي زوجة صديقه(مرزوق)، وهو عدم ترك مسكنهما والبقاء فيه، مقدمة دليلها وحجتها في البقاء، ومشككة في إخلاص الثعلب(طارق) لزوجها. وبذلك يكون المثل قد حقق

بعدًا حجاجيًا، فضلًا عن القيمة الجمالية من خلال اشتماله على الثنائيات المتضادة.

وهنا ينتهي الحوار بين الثعلبين(مرزوق، وطارق)، ليبدأ حوار جديد بين الثعلب (مرزوق، وزوجته) حول رحيلهما وترك مسكنهما، ويحاول كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره ودعم حجته من خلال الاستعانة ببعض الأمثال الشائعة، التي يسردها النص، منها: التقدم قبل التندم[٥٤]، خُذِي الأَمْر بِقَوابِلِه [٥٥]، شر الرأي الدبري[٥٦] ، قبل الرمي يراش السهم[٥٧]، ما كل أزب نفور"[٥٨]. فهذه الأمثال تأتي في سياق حمل الزوجة على الاقتناع بترك المسكن، قبل فوات الفرصة. ومن جهة أخرى، هناك تحذير من التأخير أو التردد الذي يعقبه الندم والحسرة، ثم يواصل الثعلب المحاولة في إقناع زوجته برأيه من خلال تقديم الحجج والبراهين، فنراه في هذا المثل يؤكد حجته من خلال الثنائيات المتضادة التي تبرز الفارق الواضح بين أول الأمر وآخره، وهنا دعوة من المتكلم لاستجابة المخاطب، وأنه لا خير في رأي تأخر عن وقته، وأن الفرصة ما زالت موجودة وينبغي ألا تتأخر أكثر من ذلك.. ثم نراه يضرب مثلًا آخر يقصد إلى المعنى نفسه يقول: (قبل الرمي يراش السهم). ولكن يأتي رد زوجته بضرب مثل آخر لتدحض حجج زوجها، وتدعم رأيها وهو (عدم ترك مسكنهما) وذلك في قولها:" ما كل أزب نفور". والملاحظ في الأمثال السابقة التي استعان بها الثعلب مرزوق في تأييد وجهة نظره ودعم حجته، أنها جميعًا تجري في مسار واحد هو تقديم النصح والحث على اتخاذ القرار المناسب قبل فوات الأوان، والجد في أخذ الأمر من بدايته والاستعداد والحيطة والحذر.

ويبدو أن وظيفة النصح تستوعب طائفة جليلة من الأمثال، فقد استعان بها الثعلب في التأثير على الذئب ومن ثم إقناعه بوجهة نظره، بل أظهرت كثرة الأمثال في أقواله حدود شخصيته، وأطرت الجانب الحكمي عنده، كونه مستشارًا مؤتمنًا جامعًا الحكمة وخلاصة التجارب. ويمكن البرهنة على هذا المنزع حينما

نتأمل فقرات الحوار بينهما وإقناع الثعلب للذئب في الإتيان للنمر والدخول في حاشيته، ففي هذا عددٌ من الأمثال على لسان الثعلب في سياق النصح والتوجيه، يقول سهل:" قال الثعلب" فأعلمه أنك لا تصيدُ شيئًا إلا بعثت إليه بشطره، فإن لك فيما يبقى منتفعًا وصلاحًا.. قال الذئب: يا أبا الصباح، إنه كان يقال اتقوا مقارنة الحريص الغادر، فإنه إن رآك في القوة رأى منك أخبث حالاتك، وإن رآك في الفضول لم يدعك وفضولك... قال الثعلب: يا أبا الفراء: "ليس الري عن التشاف"(٥٩). وقد جاء المثل بصيغة النفي لينفي أن يكون قضاء الحاجة بالكل أو بالكثير، فقد يكون الاكتفاء والاغتناء بالقليل، وهذه دعوة للقناعة وتوجيه النفس وتهذيبها، والرضا بما ينال من بعض حاجاته، وذلك دحضا لرأي الذئب في إلصاق المساوئ للنمر، وعدم استجابته لنصيحة الثعلب.

وبناء على آلية الاسترسال والتوسع في الأمثال يمتد الحوار وتبرز معه الأمثال بوصفها حججًا تأطر التصورات بين الطرفين. فقد استخدم المثل القائل: (قد يبلغ الخضم بالقضم)(٦٠) يقدم الثعلب هذا المثل كحجة للتأثير على الذئب وإقناعه بوجهة نظره، ونرى هذا المثل لا يبعد في غايته ومقصده عن المثل السابق عليه، وهو القناعة بالقليل، ثم يتبعه بقوله:"(ويركب الصعب من لا ذلول له)(٦١) وهذا المثل فيه من التحفيز ما يعلي من حماس الذئب، ويدفعه على التحمل، وهذه دعوة للذئب بأن يجاهد ويتحمل الشدائد من أجل تحقيق هدفه. ولم يكتف الثعلب بضرب الأمثال السابقة واستخدامها كحجج داعمة لرأيه في مواجهة الذئب للموقف وتحمله من أجل الخروج من المأزق، فنراه يواصل ضرب الأمثال المحفزة والموجهة للذئب يقول:"إنه ينبغي للعاقل أن يداري الزمان مدارة الرجل السابح في الماء الجاري، وقال متمثلًا: ارض من المركب بالتعليق"(٦٢) وقد جاء هذا المثل في سياق النصح والتوجيه أيضًا، ويضرب في القناعة بالقليل.

قامت الأمثال التي استعان بها الثعلب ناصحًا وموجهًا للذئب بوظيفتها في التأثير والإقناع، فقد استطاع الثعلب أن يقنع الذئب بوجهة نظره؛ وهي أن

يسأل النمر أن يعطيه ولاية تعود عليه بالنفع. وقد تحققت غاية الثعلب ومقصده من ضرب تلك الأمثال في إقناع الذئب بوجهة نظره، ويؤكد ذلك سهل بن هارون بقوله:" فأعجب الذئب كلامه، فأتى النمر، فشكر له، وأقام بين يديه، وكان لا يعرفه بمثل هذه الذلة"(٦٣). وتأتي النتيجة المنتظرة وهي، موافقة النمر على طلب الذئب، يقول سهل:" فأعجب النمر كلامه وطمع فيما وعده فقال له: صدقت وبررت وأنا مستكفيك ومقلدك، فانظر كيف يكون ضبطك وكفايتك وغناؤك ووفاؤك بما شرطت على نفسك؛ اكتب له يا غلام عهده على مناهل الظباء واجمع له أعمال ما هنالك"(٦٤). ثم تلت هذه النتيجة، نتيجة أخرى هي أن حظي الثعلب بميزات وجهة نظره، وثمرة رأيه، فعين بمنصب الوزير الكاتب، يبدو ذلك واضحًا في قول سهل:" فخرج الذئب إلى عمله، واستخلف الثعلب محل الوزير الكاتب"(٦٥).

يمكننا متابعة وظائف الأمثال حجاجيًا عبر تلمس السياقات والأدوار السَّردية التي تقوم بها داخل مفاصل الحكي، فقد نرى لها وجهًا حجاجيًا موجهًا للذات وليس الآخرين، خاصة في أثناء الحوار الذاتي، أو المنولوج الداخلي. ولعل من تلك الوظائف ما يمكن أن ندعوه بالوظيفة النفسية في الإقناع، فقد استعان السَّرد في مواضع متنوعة بالأمثال لحجاج النفس وإقناعها بالأمور، ومثال ذلك، فقد استعان الثعلب بهذا المثل(اسْتَمْسِكْ فَإِنَّكَ مَعْدُوٌّ بِكَ)(٦٦) في حوار ذاتي بوصفه مثيرًا ومحفزًا له على التمسك بالنجاة، وقد جاء بصيغة الأمر حتى لا يتوانى لحظة في الاستمرار، ومن جهة أخرى يحذر نفسه من الاستسلام، فإذا كان القدر قد ساقه إلى قضاء معين، فينبغي عليه ألا يستسلم وبخاصة إذا كان هذا الأمر فيه هلاك للنفس وضياع لها، وهنا يظهر دور العقل في توجيه النفس، وهنا يكون الحجاج موجهًا إلى ذات النفس أثناء حوارها الداخلي، ولم يقتصر على التوجيه بين الخطيب والمستمع، ويمكن تمثل مقولة بيرلمان:"وحتى عندما يتعلق الأمر بمداولة مع النفس، أي حين يكون من يسوق

الأدلة ومَن تُوجَّه إليه شخصًا واحدًا لا غير، فإن اتصال العقول ضروري"[٦٧]. ثم يتبعه بمثل آخر يقوي من عزيمته ويدعم المثل السابق في قوله: "من لم يفت لم يمت"[٦٨] أي إنه ما زال على قيد الحياة، بالرغم مما يحيط به من مخاطر، فإنه ينبغي عليه المثابرة والكفاح من أجل البقاء؛ فهو لم يمت بعد وأن من مات فهو الفائت حقيقة.

وتؤدي هذه الأمثال وظيفة نفسية تكمن في تحفيز الثعلب على الأخذ بكافة الاحتياطات والأسباب التي تساعده على النجاة والخروج من المأزق، ففي المثل الأول في حواره مع نفسه يأمرها بأن تستمسك وألا تستسلم، ويأتي المثل الثاني ليحد من التوتر النفسي ويعيد الثقة إلى النفس ويطمئنها بأنه لا زال يتنفس وأنه لم يمت بعد؛ وأن الفرصة ما زالت موجودة عليه أن يستغلها لصالحه، وهنا يحقق المثل مقصده الحجاجي في بعث الاطمئنان والسكينة للنفس الحائرة التائهة.

وإذا كان للأمثال قيمتها الحجاجية في الدفع والحث والترغيب، فقد كان لها قيمتها الحجاجية في المنع والترهيب، فحين تمرد الثعلب على النمر تحولت الأمثال من دائرة الترغيب إلى الترهيب، ومن مثوبة العطاء إلى خزي المذلة والانهزام، ومن الحض على عطايا الملك إلى الردع عن عواقب شق عصا الطاعة والمجاهرة بالتمرد، بل النصح بالاستسلام والإذعان، فجاء المثل القائل (إِنْ أَرَدْت المُحَاجَزَة فَقَبْلَ الْمُنَاجَزَة)[٦٩] مكينًا في موضعه، فهذا المثل يقوم على الترهيب في الدخول في حرب مع الملك(النمر)، وعليه أن يستسلم، وأن معاداة الملوك أمر صعب يشبه السيل بالليل، الذي يصعب اتقاء شره، يقول الثعلب :"يقول بعض الحكماء: معاداة الملوك كالسيل بالليل، لا تدري كيف يأتيك، ولا كيف تتقيه، فإما أتيت الملك حتى تضع يدك في يده سلمًا، وإما أن تتخذ وزرًا تلجأ إليه، أو مدخلًا فتحرر نفسك فيه، فإنه كان يقال: ليس للعدو الذي لا

يطاق، ولا تمنك الفرصة فيه إلا للهرب منه، فلا أعرفك مترددًا في أمرك ومتحيرًا حتى تؤخذ بخطمك فتندم، فلا تقال من ذنبك، وقد قيل: إن رمت المحاجزة فقبل المناجزة.." [٧٠]. وقد استشهد الثعلب بأقوال الحكماء ليدعم حجته ويؤكد على خطورة معادة الملوك، ومن جهة ثانية التحذير من الهلاك القادم، وذلك يتناسب مع أسلوب الذئب فهو دائم التردد والحيرة والبطيء في اتخاذ القرار؛ لذا عليه أن ينجو بنفسه.

يعطي سهل بن هارون للأمثال أهمية كبيرة في التأثير والإقناع، و تلك عادة القدماء "فالمثل مقرون بالحجة، وكذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دونته من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم، ونطقت ببعضه على ألسنة الطير والوحش، وإما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها، والمقدمات مضمونة إلى نتائجها"[٧١]، فالأمثال لم تضرب اعتباطًا وإنما كل مثل يعد شاهدًا ومؤكدًا على الحالة التي يمثلها، وقد أشار إلى ذلك في رسالة كتبها النمر إلى الذئب تحمل معنى التحذير والتهديد يقول: "فأقسم لئن لم تخلع ربق الشك من عنقك، وتكف عن جماحك، وتعظ نفسك بالأمثال الجارية، والمواعظ المتقدمة، فسنقفك على ما إن وقفت عليه أبصرت خطأك، ووقفت عند رشدك..."[٧٢]. فقد أعطى للأمثال الجارية منزلة كبيرة في الاتعاظ وأخذ الحيطة والحذر، وبخاصة أن كل مثل ضرب لحالة معينة في زمن معين، فينبغي عليه أن يضع ذلك نصب عينيه. ويمكن ضرب عدد من الأمثال التي وردت في هذا السياق، منها قول الثعلب محذرًا الذئب من بطش النمر: (إنَّ الرَّثِيئَةَ تَفْثَأُ الغَضَبَ)[٧٣]، فقد استعان الثعلب بهذا المثل عندما طلب الذئب المشورة منه، وذلك بعد أن وصلته الرسالة الأولى من النمر يحذره فيها من عدم الوفاء بعهده معه، فجاء رد الثعلب محذرًا من سوء فعله، يقول سهل:" قال الثعلب: إن الملك استبطأك فيما كنت وليت له إذا أخلفت له بوعدك، وأكذبت به حظك، فحركك بهذا الكتاب، ولئن لم تتدارك هذه الهفوة، وتتلاف هذه الزلة ليحلن الخطب،

ويعظمن الأمر، وأن الرثيئة تفثأ الغضب". يأتي المثل في سياق التحذير، ليعزز مقصد المتكلم. ويسوق الثعلب المثل كحجة داعمة لرأيه وهو تدارك الأمر قبل فوات الأوان، فليس شرطًا أن يقدم الذئب الكثير للنمر، فبالقليل يستطيع أن يكسب وده ويسكن غضبه. وما يزال الثعلب محذرًا وناصحًا للذئب بأن يتدارك الأمر ويصحح الخطأ، مستعينًا بضرب الأمثال التي تدعم وجهة نظره وتقوي حجته، ففي قول الذئب: "أتراني أمحض أمرًا أغترب فيه عن وطني، وأتعب فيه بدني، وأبيع له ديني، حتى إذا بلغ إتاه، وانتهى منتهاه، آثرت بزبدته غيري، وأثقلت به ظهري؟ كلا فاكتب له كتاب جوابه وبالغ فيه"، فكان رد الثعلب بهذا المثل:(مَنْ يَنْكِحِ الحَسْنَاءَ يُعْطِ مَهْرَهَا"[٧٤] وهنا تأكيد على أن يبذل الذئب جهده في الحفاظ على ما في يده من ممتلكات تستحق أن يضحي من أجلها، وأن يعطي مقابل الأخذ، فقد شرط على نفسه الشروط، فينبغي عليه ألا يخلف وعده، وألا يبخل بأداء ما فرضه على نفسه.

المحاورة والتواصل الحجاجي، البناء والوظائف

استثمرت القصة تلك الآليات السابقة لتؤدي دورها الحجاجي في عملية الإقناع بقوة السلطة وعدم تجاوز حدود التعامل معها، واستثمرت أيضا الأمثال العربية السائدة في الإقناع، ولما كان" الحوار هو الإطار العام الذي يتم فيه توظيف الحجاج وتقويمه"[٧٥]؛ فقد استثمرت المناظرات والمحاورات القائمة على إبراز مدى ما يتمتع به(الثعلب) من علم وحكمة وقدرة على التصرف في المواقف، إبرازًا لدور العقل في عملية الإقناع وتغيير وجهة النظر وهنا نستحضر قول بيرلمان:" وما دام الحجاج يتغيا التأثير في مستمع ما وتغيير قناعاته أو استعداداته بواسطة خطاب يوجه إليه، ويسعى إلى كسب تصديق العقول بدل فرض الإرادة بالإكراه والترويض، فإن المزايا غير القابلة للإهمال أن يكون المرء شخصًا تضفى قيمة ما على رأيه، ومن المهم كذلك أن يقدر المرء على تناول الكلمة في بعض الظروف"[٧٦].

ويمكن النظر لبناء القصة في كليتها بوصفها مقسومة إلى محاورتين متداخلتين ومتعاقبتين تدلان على أهمية العقل والفطنة إلى جانب الملك والقوة، فقوة الملك بحاجة إلى قوة الوزراء وصائب مشورتهم وقت الأزمات. ومن هنا يمكن القول بأن بنية النمر والثعلب تتشكل من مفصلين كبيرين هما: قصة الذئب وصعوده ونهايته، ثم مآل الثعلب بعد مقتل الذئب، في القصتين أو المفصلين، يغلب على السَّرد بنية المحاورة، في المفصل الأول تكاد تغطي محاورات الثعلب والذئب في مقام المشاورة على كافة تفاصيل هذا المفصل السَّردي، وتأتي انعطافة السَّرد نحو قصة نجاة الثعلب لتصوغ محاورة طويلة بين الثعلب والنمر ووزرائه وصل فيها إلى إظهار حكمته وتبصره بشؤون الحكم.

من الواضح أن أهداف المحاورة في المفصلين قد اختلفت في طبيعتها وأهدافها وطرائق حجاجها، إذ يمكننا تصنيف المحاورة في المفصل الأول بكونها محاورة تقوم على المشاورة التي تتعاور فيها طرائق متنوعة من الحجاج من مثل النصح والاستمالة والترغيب والترهيب والتحذير..، بينما المحاورة في المفصل الآخر إنما هي محاورة مذاكرة وامتحان حيث تهدف إلى إبراز المعرفة واستعراض العلم، وإن كانت لجأت أيضا لوسائل الاستعطاف والتقرب وطلب العفو والالتماس والصفح.

لقد برزت في القسم الأول أبعاد دالة على أساليب الحجاج الخطابي البلاغي، حيث محاولة استثمار وسائل الإقناع والوصول إلى رأي ومشورة، أما القسم الآخر فيكاد يقترب من أساليب المحاورة الجدلية، حيث حركية الأسئلة والأجوبة، التي تستهدف فعل المساءلة لا المشورة، لتدل على الاختبار لا الرأي(٧٧).

ويمكن سوق الآليات الحجاجية المعتمدة في المفصل الأول إجمالًا، منها: آليات الشرح، والاستمالة والترغيب، والنصح والتوجيه، والاستكانة والاستعطاف، والتوبيخ، والتهويل. فقد استعان سهل بن هارون بهذه الآليات الحجاجية في

خطابه الذي بناه على ألسنة الحيوانات وفيما أقامه من حوار بينها، وسنقف عند كل آلية من تلك الآليات وتوضيح دورها في تحقيق غاية الخطاب ومقصده.

ونلاحظ في كل حوار أقامه سهل بن هارون بين الذئب والثعلب، أو بين الذئب والنمر، أو بين الثعلب والنمر، يتوفر فيه شرط مهم من شروط الحجاج وهو التكيف مع المستمع، فطوال القصة يمثل كل واحد من هؤلاء إما مستمعًا وإما متكلمًا، ويعتمد كل منهم في رده على سرعة البديهة دون ترتيب مسبق. يقول بيرلمان:"لا يمكن أن يكون هناك ترتيب جاهز لكل أنواع الخطابات، وإلا تم خرق أهم قاعدة في الحجاج: التكيف مع المستمع"(٧٨).

وهذا يعتمد أيضًا على المعرفة المسبقة بطبيعة الآخر، وكأن سهلًا يريد أن يوصل رسالة مفادها أنه يمتلك معرفة طبائع الشخصيات التي يرمز إليها من خلال عالم الحيوانات. وهنا يتحقق هدف الحجاج وهو إحداث التأثير والتصديق في المستمع.

١- **الشرح والتفسير:** ولعل الحجاج عبر آلية الشرح والتفسير الأكثر ورودًا واتساعًا في الاستخدام في الردود والتعقيبات والأجوبة. تعد هذه الآلية من الأنماط الحجاجية التي يسعى من خلالها المتكلم إلى التوضيح والإفهام، إذ" يمكن للشرح أن يلعب نفس دور التحديد الخطابي"(٧٩) بوصفه مكونًا حجاجيًا. وتتجلي في الحوارات القائمة بين الثعلب طارق، والثعلب مرزوق، في مواضع عدة، ومن ذلك، هذا الحوار الذي أداره بين الثعلب والذئب، يقول الثعلب:" واعلم أن الرجال ثلاثة: حازمان وعاجز، فأحد الحازمين ما إن نزل به الأمر من البلاء لم يدهش، ولم يذهب قلبه شعاعًا، ولم يغرب رأيه عن حيلته التي يرجو بها المخرج من ورطته، وأحزم من هذا المتقدم ذو العدة الذي يعرف الأمر قبل وقوعه؛ وأما العاجز فالذي لا يزال في التردد والتحير حتى يهلك"(٨٠). ويتضح من كلام الثعلب شرح وتفصيل القول باستخدامه التفسير والتفصيل والتصنيف، ثم الموازنة والترجيح والتفضيل. فقد اعتمد أسلوبًا غير مباشر في إقناع الذئب برأيه؛

عندما وضح الفارق بين الحازم والعاجز، وركز على الأفضلية في الحزم، وهي عد العدة والاستعداد للطوارئ وهما من أسباب النجاة، وأما التردد والحيرة فهما من أسباب الهلاك، وبهذا الأسلوب البديع يخير الذئب بين الاختيار بينهما، فأمامه طريقان: إما النجاة وإما الهلاك، وبهذا يكون الكلام موجهًا توجيهًا غير مباشر، يجعل الكلام أكثر تأثيرًا وإقناعًا(٨١).

٢- **الاستمالة والترغيب:** إن مظاهر الاستمالة الصريحة أو الضمنية- على ما يقرر بيرلمان- يلتمسها الخطيب عبر سلسلة من التقنيات المتنوعة لأجل ترسيخ الحجج أو إبطال حجج أخرى معتمدًا في ذلك على تبني بعض المستمعين لرأيه ودعواه."(٨٢)، و تتجلي هذه الآلية بوضوح في بعض المواضع في القصة منها: الحوار الذي يدفع فيه الثعلب الذئبَ على الذهاب للنمر طلبًا للولاية، فيستخدم الاستمالة والترغيب فضلًا عن التحايل طلبًا للإقناع،" قال الثعلب: ايت النمر فسله أن يوليك ولاية ترد عليك نفعًا، وتؤدي لك ذكرًا، وتكسبك حمدًا. فقال الذئب: فأين ما أخبرتك عن بخله وشراسة خلقه؟ وإنه لكما قال القائل: سواء هو والعدم. قال الثعلب: فأعلمه أنك لا تصيد شيئًا إلا بعثت إليه بشطره، فإن لك فيما يبقى منتفعًا وصلاحًا، فإن أجابك فلن تعدم مني معونة حسنة، وقيامًا بالذي يجب "(٨٣). والاستمالة هنا محور الحجاج؛ فهناك استمالة الثعلب للذئب للأخذ برأيه من جهة، واستمالة الذئب للنمر لتنفيذ طلبه من جهة أخرى، فإذا قام الذئب باستمالة النمر وحقق له طلبه في الولاية، سوف يترتب على ذلك تحقيق النتيجة المبتغاة وهي (تحقيق الأمن والأمان ورغد العيش للثعلب والذئب معًا)، إن الثعلب يقدم الحل العقلاني لمشكلتهما معًا؛ لذا فقد استعان ببعض أبيات من الشعر تناسب المقام وتعد حجة عقلانية وحلًا للأزمة الراهنة، يقول مرغبًا إياه:" فكن كما قال الشاعر:

وليس الرزق عن طلب حثيث ولكن ألق دلوك في الدلاء
يجيك بمليها طورًا وطورًا تجيء بحمأة وقليل ماء

ترجع استعانة الثعلب ببعض أبيات من الشعر؛ لكونه مؤثرًا في العملية الحجاجية، فالشعر خطاب عام يسعى إلى نقل التجارب والخبرات من الفرد إلى الجماعة في مختلف الأزمان، ويهدف إلى التأثير والإقناع، وهما غاية الحجاج.

٣-النصح والتوجيه: هذه الآلية يقوم بها المخاطب بهدف توجيه المتلقي نحو سلوك أو عمل معين و" تتمثل هذه الوظيفة في إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، بالإضافة إلى إيصال المستدل حجته إلى غيره"(٨٤). وتتضح هذه الآلية الحجاجية في الدور الذي يقوم به الثعلب مع الذئب، فهو الناصح الأمين والعقل المستنير والمدبر لكافة أمور الذئب، وبذلك تؤطر صورته وتبرز وظائفه، ولذلك نراه مكنزًا للحكم ومنبعًا للخبرة، ولا يكف عن النصح الموجه للمخاطبين الذي يناسب السياق ويكون له الأثر الفاعل، ويأتي النصح على لسان الثعلب في أكثر من موضع مثل قوله:" فقال له الثعلب: أيها الأمير إن النمر – وإن كان من الأخلاق الضيقة على ما قد عرفت وعرفنا– فقد تردى برداء الملك، ودعي باسمه، وسار بسيرة نظرائه، والملك صبي الرضا، كهل الغضب... فارفق به واسلك سبيل موافقته فإنك راع عليه في ولايته، ولا تأخذ به في طريق العجب فيأخذ بك في طريق القهر والغلبة، قال الذئب: قد علمت ما أردت من النصيحة ودللت عليه من الرأي، وهديت له من الصواب"(٨٥). إن الثعلب يحاول إقناع الذئب برأيه وإقلاعه عن عناده مع النمر ومحاولة إرضائه، ويقدم في سبيل ذلك ما يدعم كلامه من أسباب يراها عقلانية وتتمثل في حجاج السلطة والقوة اللتين يمتلكهما النمر.

وأثر النصح واضح في مواضع القصة كلها، تأكيدًا لقيمة الفطنة والحكمة والمشورة التي من أجلها فاز الثعلب بتلك المكانة من القرب، ولم تكن تقف عند حد النُّصح في دفع الذئب للتقرب من النمر فحسب بل حاولت وقت تمرده وعصيانه أن تكون وسيلةً لتبصرته وإعادته لصوابه. وهنا ينصحُ الثعلبُ الذئبَ بما يراه مناسبًا في تلك الفترة المتوترة بالخلافات بين النمر والذئب ومحاولة

إرضاء النمر ومحاولة تدبر الأمر قبل فوات الأوان، لكن الذئب لم ينتصح ولم يستجب لنصائح الثعلب وتوجيهاته، وبعد أن ضاعت منه كل أسباب النجاة وامتلأ قلبه بالرعب والخوف يلجأ إلى الثعلب طالبًا مشورته، وهنا تأتي النصيحة مختلفة تمامًا عما سبقتها من نصائح طوال القصة، إذ الفرصة قد ارتحلت والكارثة قد حلت، يقول سهل على لسان الثعلب:" ثم قد أظلك من هذا الملك مالا طاقة لك به، فإن استطعت أن تبتغي نفقًا في الأرض فتدخل فيه، أو سلمًا في السماء فتصعد إليه فافعل". فالهدف من الحجاج هنا تكوين قناعة وإرساء مبدأ، وهنا يمكن تمثل مقولة بيرلمان:" أن الحجاج لا يهدف إلى التصديق الفكري المحض، بل غالبًا ما يسعى إلى الحث على الفعل، أو إحداث استعداد له على الأقل. ومن الجوهري أن يكون الاستعداد الذي أحدث بهذه الطريقة، قويًا بما يكفي للتغلب على العوائق المحتملة "[٨٦]. وكأن سهلًا يروم ترسيخ مبدأ القوة والغلبة للراعي وتأكيد ذلك في نفوس الرعية، والذئب ليس كفئًا للنمر ولا يتحمل تبعات لقائه ففيه موته وهلاكه، وذلك من خلال مقارنة أوردها على لسان الثعلب في قوله:" قال الثعلب: قد كنت استشرتني في أول الأمر فلم أدخرك نصيحة، وكرهت لك مثل هذه العاقبة، وحذرتك وبال الصرعة، فعصيتني وغويت، حتى انكشف بالخلاف قناعك، وانقطع به عذرك، وأشرت عليك بلقاء أكافيك، ومدافعة نظرائك من أعدائك، وأطعتني ورشدت"[٨٧]. وبالرغم من كثرة النصائح والتوجيهات التي أوردها سهل على لسان الثعلب مقدمة للذئب، فإنه يريد أن يظهر إلى أي مدى يكون العناد والمماطلة متجذرين متأصلين في الإنسان، يؤديان إلى الهلكة؛ ففي النصيحة التي تعد الأخيرة تظهر عدم استجابة الذئب، يقول الثعلب:" فتنح عن سننه، وغيب شخصك عن عينه، فإن أطعتني لم يكن موضعك لأمير بدار ولا محلة قرار، فإذا انصرف عنك فعد إليه وأقم على ما أنت عليه؛ وإياك وحيرة الشك وطمع الرجاء، فإنهما أقوي أسباب البلاء"[٨٨].

٤-الاستكانة والاستعطاف: يوظف سهل هذه الآلية توظيفًا حجاجيًا من خلال الحوار القائم بين الذئب(مكابر)، والنمر(المظفر بن منصور)، بهدف استعطاف الذئب للنمر والتأثير فيه ومن ثم تحقيق طلبه، يقول سهل:" فأتى النمر، فشكر له، وأقام بين يديه، وكان لا يعرفه بمثل هذه الذلة، فافتتح الكلام فقال: أيها الملك، إني لما أنا عليه من المناصحة والمولاة تأملت باب الملك، فوجدته خاليًا من صالح الأعوان وثقات الخدم، ولما الملك كثير الكلف، عظيم المؤن، رحب العناء، جزل العطاء، وليس له من عبيده من يعينه على مؤنه، ويكفيه الهمم من عمله، ندبت نفسي للذي رأيتني أقوى عليه من حسن السياسة، وضبط الناحية التي أتولاها، ورد المنفعة على الملك منها"(٨٩). واضح أن خطاب الثعلب الموجه إلى الذئب قد أدى دوره الحجاجي وهو التأثير والإقناع؛ لذا نرى استجابة الذئب لتحقيق هدف الثعلب، فذهب مستعطفًا النمر في ذلة غير مسبوقة منه. ولعل في استكانته للنمر واستعطافه ما يبعث على التهيئة النفسية للنمر، وتطويعه لتحقيق هدف الذئب، وهو الحصول على الولاية.

تتكرر هذه الآلية مرة أخرى في رسالة من الذئب إلى النمر يقول:"على أن يد الملك عندي بيضاء مشكورة ليست بمرفوعة ولا مكفورة طلعها في قلبي نضيد، وظلها على ممدود، خصبة/ خضرة، أغذوها بماء الشكر وأنميها بجميل الذكر، لا يحصدها تقادم الأيام ولا يقدح فيها بزند الملام، وارتضع درتها فواقا عن فواق فأغترف منها بسجل ذي عراق، فأين ذهب الملك في ظنه وأنا ابن نعمته والشارب في بلهنيته، ذارني جناحه وكنفني رجاحة، يعقلني وزره وينجيني عصره؛ أفلا يرب الملك- أمتع الله به- نعمة أنشأ شجرتها، وأظهر ثمرتها بنوافله العظام ومننه الجسام ونعمة التوام..."(٩٠). في الحوار السابق يحاول الذئب استعطاف النمر مادحًا له ذاكرًا نعمه عليه، وهنا يحتج على سوء ظن الملك فيه بأنه ابن نعمته وأنه ثمرة جهده ورعايته؛ محاولًا بذلك إقناع النمر بالتخلي عن سوء ظنه فيه.

٥- **التوبيخ:** تقوم هذه الآلية على توبيخ المخاطِب للمخاطَب، بهدف إظهار ضعفه وقلة حيلته، ويحمل هذا الخطاب أيضًا التهديد والوعيد؛ فالنمر يواجه ذئبًا مستهترًا مخلفًا للوعد، خائنًا للعهد؛ لذلك يتصدى له بالتوبيخ والتهديد والوعيد، بهدف إضعافه، وتعجيزه، وهذا ما يسميه عبد المجيد الغيلي "بالمواجهة الصريحة (Loss Of face): ويتجلى هذا في حملات علنية ومباشرة، تطعن في أخلاق الخصم، لتشويهه وإهانته وإحراجه. وهي خطوة تصعيدية كبيرة"(٩١). وتتجلى بوضوح في الحوار القائم بين النمر والذئب؛ وذلك في قوله:" من ملك النمور المظفر بن منصور إلى الطاغية الشبيه باسمه مكابر بن مساور، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنك لم تَمْرِ بقتل وثاب صوب سحاب، ولا استدررت به عذب شراب، بل مريت به سوط عذاب وكأس سَلَعٍ وصاب"(٩٢). حيث يعمد النمر إلى توبيخ الذئب، وتهديده بما يمتلك من قوة وخبرة في الحروب، وذلك من أجل بث الخوف والرعب في نفس الذئب المكابر من جهة، ومن جهة أخرى إظهار ما تتمتع به السلطة من قوة وخبرة. ويلاحظ في كلام النمر الموجه إلى الذئب التوبيخ والتبكيت، ونبرة الاستعلاء التي تمارسها السلطة الحاكمة على الرعية.

٦-**التهويل:** تؤدي هذه الآلية وظيفتها الحجاجية في كونها تصرف المخاطب عن فعل معين، حيث تتجه بالخطاب نحو التحذير؛ لذا وظفها سهل بن هارون ليرسخ مبدأ التخويف من السلطة، ويؤطر العلاقة في حدودها الثابتة التي لا يمكن التعدي عليها من قبل الرعية، وأن الرعية لا طاقة لها بمنازلة الحاكم ومعاداته، وقد يبدو ذلك جليًا في حوار الثعلب مع الذئب يقول:" قال الثعلب: إن الرعية لا تقوى على حرب الملوك، ولا تقدر على مغالبتها. قال الذئب: وكيف ذلك؟ قال الثعلب: إن الرعية لا نظام لأمرها، ولا بقاء لصبرها، ولحرب الملوك معدنان أحدهما للآخر، بلقاحهما ينتج النصر وبقوتهما يستنبط الماء من الحجر، وبنارهما يطفأ الشرر، وإذا استمر لم يثبطا، وإذا اعتمد عليهما

لم ينهكا، من عاندهما مخذول، ومن خادعهما مرذول، ومن ساجلهما مسجول، فلا تهتكن عنك شيئًا وصلت الطاعة حباله، واتعظ بما عاند الملوك في آماد الدهور، وانظر إلى ما آلت إليه حالهم، فإن لك في ذلك معتبرًا ولك فيه منتظرًا"(٩٣).

يتجلى في الحوار السابق مخاطر معاداة الحكام، وأنه مهما بلغت الرعية من قوة فلا تقدر على منازلتهم، وهنا يحاول سهل الاعتماد على تلك الوسيلة التخويفية التي تهول الأمر بحيث يقوي حجته وهي(صرفه عن معاداة الملوك)، وزيادة في التحذير من عداوتهم؛ لذا جاء كلامه مؤكدًا بأدوات التوكيد في حالتي الإثبات والنفي معًا، في حالة إثبات القوة والسيطرة للحكام والملوك، ونفي تلك القوة عن الرعية؛ فالرعية لا تمتلك نظامًا ولا صبرًا، وهذان أهم مقومات النصر من وجهة نظر سهل بن هارون، ومن ثم يصبح الخطاب محملًا بقوة حجاجية عقلانية.

يمكن القول بأن سهلًا استطاع أن يبني خطابًا من خلال توظيف الآليات والتقنيات السابقة لخدمة الأهداف الحجاجية، فنلاحظ أن كل مخاطِب يسعى إلى إقناع المخاطَب، بتقديم حجج وأدلة يدعم بها هدفه، أو يفند بها حجج خصمه، مظهرًا بذلك براعته الفكرية والثقافية، مستعينًا بالأساليب اللغوية والبلاغية المتنوعة التي من شأنها إثراء الخطاب الحجاجي، القادر على الإقناع والتأثير.

تقوم المحاورة في القسم الآخر على تتابع الأسئلة من النمر موجهة إلى الثعلب،" وكأن النمر –بسابق نظرته في الثعلب–يعرف حقيقته، فما كان من طرح الأسئلة عليه، على سبيل الاختبار، سوى سعيه للتثبت، وإقامة الحجة على بقية الوزراء المستشارين؛ لتتحقق لديهم القناعة بما سيصل إليه الثعلب من حظوة في بلاط الحكم ذات يوم، وكان الكاتب موفقًا في تسلسل الأحداث بما يوافق المنطق والعقل، فانعقد الاختبار بعد الحرب ومقتل الذئب؛ جرياً على عادة الحكام –

وقتها–من توبة الأسرى، والحكم فيهم بعد انتهاء الحروب، وانتشاء الظافر بنشوة الظفر "[٩٤].

ويمتد الحوار بين الثعلب والنمر ويطول، والملاحظ أن النمر يقوم بدور المحاور والموجه لدفة الحوار، وحواره كله قائم على توجيه الأسئلة للثعلب التي أراد من خلالها الكشف عن مدى حضوره و سرعة بديهيته،" إن الأسئلة التي وُجهت إلى الثعلب تغطي في الواقع موضوعات شديدة التباين، وواضع الأسئلة لا يشعر بأن عليه أن يلتزم بفكرة رئيسية لا يحيد عنها، بل شغله الشاغل حشد أكبر عدد من الأسئلة التي تكشف مدى حضور البديهة عند الثعلب"[٩٥]، ومن ناحية أخرى فإنها ستحدد المصير الذي سيؤول إليه الثعلب هل سيعفو عنه ويقربه منه، أم سيناله نهاية مثل نهاية الذئب الغادر؟ كل ذلك متوقف على ما يقدمه الثعلب من إجابات وردود على أسئلة النمر.

فقد استطاع الثعلب عن طريق إعمال العقل، أن يغير وجهة نظر النمر فيه وأن ينجو من الهلاك؛ يظهر ذلك في أول لقاء بين الثعلب والنمر بعد أسره مع من أسر من الذئاب، وكان الثعلب على وشك الهلاك فطلب الاستغاثة بحجة أن لديه نصيحة للملك،" فدعا به فقال له: يا خبيث ما نصيحتك هذه، فطالما غششتنا، وسعيت في الفتنة علينا، وجريت بالبغي في الفتنة لهلاكنا. فقال له الثعلب: أيها الملك ملكت فاسمح، وإن أحببت أن تزداد سعة في ملكك وبسطة في حديثك فاستبقني. قال له النمر: إني لأحب ما ذكرت فأمن لي به. قال له الثعلب: إني أفضل المكنون بصالح القلوب، وأنفع الأموال اتخاذ الموالي، وعندي لك خمس خصال إحداهن خير من كثير المال. قال النمر: وما هي؟ قال الثعلب: نصيحة لا يدركها فضيحة، وأمانة لا تشوبها خيانة، وطاعة لا تقدح فيها معصية، وخدمة لا تخالطها سآمة، ورأي لا يتعقبه الخطأ"[٩٦].

من الملاحظ دون كثير عناء محاولة الثعلب الإقناع عبر الحجاج بصورة الذات أو الأنا، أو ما يطلق عليه الإيتوس (Ethos)[٩٧]، "ويوضح

أرسطو ما يقصده بالإيتوس بكون الإقناع يتم بواسطة خُلُق الخطيب حين يصاغ الخطاب بشكل يجعل من يتكلم أهلًا للثقة"[٩٨]، حيث يشرع في سرد أخلاقه من وفاء وخدمة وأمانة ونصيحة، وفضلًا عن ذلك فإنه يرسخ قيمة مهمة في بلاط الحكم وسياسة الأمور تتمثل في الفطنة، وهي أهم ما يبحث عنه في ملمات الأمور وتصريف الحياة العامة، ولا غرو أن استعان بالتضاد لإبراز ما يرمي إليه من أهداف، فجعل ما يملك من صفات في تضاد مع نقائضها، فإن عفا النمر عنه سيجد منه النصيحة، والأمانة، والطاعة، والخدمة، والرأي والمشورة، وسيتجنب الفضيحة، والخيانة، والمعصية، والضجر، والخطأ. فكانت النجاة ضد الهلاك.

وهنا يظهر ذكاء الثعلب في تقديم كلامه محملًا بالتضاد الذي يبرز من خلاله أهم الفوارق بينه وبين الذئب الغادر، فكل ما ذكره الثعلب من الصفات الإيجابية التي يَعِدُ بالتحلي بها في حالة بقائه، والسلبيات التي سيتخلى عنها، تضع الثعلب في مقارنة بينه وبين الذئب، ليظهر أن هذه السلبيات كانت سببًا في هلاك الذئب، وأنه لا يريد أن يلقى مصيرًا كمصيره، وهنا يقوم التضاد كحجة تدعم كلامه وتؤيد موقفه، يقول حازم القرطاجني:" فإن للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكًا وإيلاعًا بالانفعال إلى مقتضى الكلام لأن تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعًا... لتبين حال الضد بالمثول إزاء ضده. فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيبا."[٩٩]

وقد أدي خطاب الثعلب دوره الحجاجي في التأثير على النمر، فقد رأى العفو عنه لكن بعد اختباره، وهنا يريد سهل أن يرسخ قيمة المشورة التي يتخذها الملك مع وزرائه في كافة شؤون الحكم، ويؤكد على عدم الاستبداد بالرأي، فقد ترك الخطوة التالية لوزرائه، يقول سهل:" قال النمر: فإني قد رأيت أن أعفو عنه،

ولكن امتحنوه في مقامكم هذا، واختبروا عقله بما تسمعون من صحة حجته، وبيان مباراته، فإن العقل ينتظم من أنواع أطباع الصورة الجنسية، فإن رأيتموه موضعًا لصحبتنا فألزموه أبوابنا، وإن لم يكن لها أهلا فادفعه عنها، وسائلوه بحيث أسمع". وقد عمد سهل إلى توضيح الحوار القائم بين الثعلب والوزراء الثلاثة بكل تفاصيله ليتناسب ومقام الإقناع والحجاج، وقد أشارت إلى ذلك الباحثة فاطمة السراحنة بقولها: " وقد حظي الحوار بدور كبير في ثنايا السرد، وبخاصة في المناظرات العقلية التي جرت بين الثعلب مرزوق ووزارء النمر الثلاثة، وقد بالغ سهل بن هارون في تقديم الحوار، فالشخصية كانت مهددة بالقتل، ولابدّ من الإقناع وسيلة النجاة؛ فإحسان الردّ ضرورة لتأجيل القتل والغائه، كما يدل على قوة حجة الشخصية"(١٠٠)، و تدور المحاورة بين وزراء النمر الثلاثة وبين الثعلب في حضور الملك وتقوم حول كمال الإنسان ونقصه وعن العقل ودوره في حياة الإنسان، والمعرفة وأثرها، والفارق بين العالم والجاهل، والأخلاق الحميدة لذوي العقل، وقد جاءت ردود الثعلب ردودًا عقلانية ترسخ معالم المعرفة السائدة، وصورة المستشار الحكيم ومدى المعرفة التي ينبغي أن يكون عليها.

ولعل في إجابته على الوزير الثالث حول سؤال العقل ما يوضح الأغراض الخاصة بالتمايز بين العقل والفطنة في القرب من الملوك وهو التمايز بين الثعلب والذئب أو لنقل بين الطامع في السلطة وبين الداعم لها. "قال: فصف العاقل؟ قال: العاقل موفق للرشد في كل أمره، ولا تلقاه إلا ناصحًا للولاة، موقرًا للرؤساء، منقادًا للفقهاء، موفيًا للإخوان، متحرزًا من الأعداء، غير حاسد للأصحاب، ولا مخادع للأخيار ولا متحرس بالأشرار ولا شاغب على الناس ولا بلاح للمستلطف ولا مرح في الولاية ولا بخيل في الغناء..قال: فصف الجاهل؟ قال: هو من تراه يتناقض في كلامه، ويعجب بحديثه، ويعلو بضحكه، ويوقع الظن في غير موضعه، ويسترسل بالمزاح إلى غير أهل الثقة، ويعرض عن

العلم، ويجيب إلى غير فهم، وينصرف إلى الرأي في غير كنهه، ويجانب الفقهاء، ..."[١٠١].

في هذه المحاورة بين الثعلب والوزير الثالث جاء رد الثعلب على ما وجه له من أسئلة محملاً بقوة حجاجية، يدافع بها عن نفسه من خلال توظيف بعض الفنون البلاغة معتمدًا سياق تنافر الأضداد بغية تأطير السياق الحواري بحدود المشاورة وعرض أخلاقه في تناقضها مع الذئب الغادر، ليوضح الفارق الكبير بين الجاهل والعاقل، ويرمي من وراء ذلك لنعت نفسه بالعاقل، والذئب يرميه بصفة الجهل والحماقة، ثم يرد مجموعة من الصفات التي يتصف بها العاقل، وكأن لسان حاله يريد أن يقول أنه يتصف بهذه الصفات ، ويركز على أهمها وهى مولاة الحكام والانصياع لأوامرهم، فهو من خلال التضاد يبرز أهم الصفات التي تميزه – أي الثعلب– عن الذئب، فهو وإن كان لازمه فترة من الزمن إلا أنه لم يتطبع بطباعه، وأنه مازال يتمتع بصفات العقل والحكمة.

خاتمة:

إن ما يمكن استخلاصه من فرضية الطبيعة الحجاجية لقصة النمر والثعلب يتمثل في النتائج الآتية:

أولًا: أن القصة تركز على المجالين السياسي والتعليمي في آن، بل يمكن القول بأنها رسالة دعائية على صعد متنوعة، إنها رسالة ترهيب لأي محاولة للخروج على السلطة الحاكمة وترسيخ الأمر الواقع، وتغليب المصلحة الفردية والنجاة الشخصية.

ثانيًا: أنها رسالة ترسخ أهمية الكتاب والوزراء وتدافع عنهم، لعلنا لا نبالغ حين نقول بأنها تريد أن تقول بأن الوزراء والكتاب هم خدم بلاطات السلطة، يقدمون المشورة، ولا يملكون الفعل، فسهل مارس الحجاج محاولًا إثناء الثعلب عن

التمادي في العصيان، وكأن السَّرد يريد تأكيد التفارق بين المشورة والقرار، فمهما كان النصح سديدًا والرأي رشيدًا فإن القرار هو ما يمنحه القوة الفعلية.

ثالثًا: ليس من شك بأن سهلا ً يقدم عبر التمثيل السرد نفسه خادمًا للسلطة، متطلعًا للعمل في قصورها، مستخدما الاستمالة والتودد طريقًا لهم، مؤكدًا مؤهلاته عبر التمثيل السردي لامتلاك (ثعلبه) كل مقومات الحكمة والفطنة. ومن هنا يمكن فهم كيف انطلق سهل منذ بداية قصته بإعلان عن أبطالها، بـ (النمر والثعلب) حيث يقوم النمر بتمثيل دور السلطة، ويقوم الثعلب بدور الناصح الأمين الموالي للسلطة، فالنمر والثعلب بطلا القصة (السلطة/ الخاضع لأوامرها)، سعيًا منه إلى توجيه المتلقي وإقناعه بحجته، ولعل أول هؤلاء المتلقين هم الخلفاء أنفسهم وكبار رجال الدولة.

رابعًا: يقدم سهل الحجاج بالنتائج، أو العبرة بالمآل كبرهان على قوة حجته وصدق دعوته، فهو يجعل العاقبة مسيطرة على القصة، فقد رسم مآل الخارجين على السلطة والمتمردين عليها بالخزي والهزيمة، من خلال الاستعانة ببعض آليات الحجاج التي تدعم وجهة نظره، من أجل إقناع المخاطب والإذعان له، والإقناع هنا بالرمز، حيث تتقمص الحيوانات دور الإنسان، مما يعطي دلالة أقوي على مستوى الواقعي والتخييلي.

خامسًا: يفصح هذا الحجاج عن تكون متلقين آخرين، يقصد ترهيبهم، إذ يفصح هذا النص بشكل واضح عن البعد الحجاجي الذي يمارسه سهل بن هارون، حيث يدافع فيه عن رأي يوجهه إلى فئة من المتلقين الذين تتباين وجهات نظرهم وتختلف هويتهم؛ وذلك للإقناع بأنه ينبغي الإذعان للسلطة وعدم الخروج عليها، وبيان عقوبة الخارج عليها ومصيره، وهو ما أفصح عنه عندما رسم نهاية الذئب الأليمة نتيجة تكبره وعناده ومعارضته السلطة، وإظهار البون الشاسع بين تلك النهاية ونهاية الثعلب الحكيم، الذي استطاع أن ينجو بنفسه

ويكافأ من قبل السلطة ويعيش في كنفها نتيجة تدبره وإعمال عقله وثقافته الواسعة وسرعة بديهته وتوفيقه في كل ما وكل إليه.

الهوامش

[١] – قحطان الفلاح:(الأدب والسياسة، قراءة في قصة النمر والثعلب) مجلة دمشق مج ٢٧، ع ١و٢، ٢٠١١م، ص٨٧.

[٢] – ابن منظور: لسان العرب، دار صادر– بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، الجزء الثاني، ص٢٢٨.

[٣] – محمد الولي: مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو، وشاييم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: ٢، المجلد: ٤٠، أكتوبر– ديسمبر ٢٠١١، ص ١٧

[٤] – شاييم بيرلمان: الإمبراطورية الخطابية (صناعة الخطاب والجدل)، ت: د. الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٢٢م، بيروت– لبنان، ص ٧٩.

[٥] – فرانز فان إيمرن، روب غروتندورست: نظرية نسقية في الحجاج (المقاربة الذريعية– الجدلية)، ت: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحددة، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، ص ١١.

[٦]– فيليب بروطون: الحجاج في التواصل، ص٣٣

[٧] – رفائيل ميشلي، مفهوم الحجاج وتعريفاته: عناصر من أجل تدريسية النظريات الحجاجية المعاصرة على المستوى الجامعي، ترجمة: إبراهيم أمغار، ضمن مصنف: الحجاج بين النظرية والتطبيق) مؤلف جماعي (عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط ١،٢٠٢٠ م، ص ٢٠٤.

[٨] – محمد محمود حرب، بكر محمد أبو معيلي: تقنية الحوار في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية، المجلّد ٤٦، العدد ٢، ٢٠١٩م، ص٣٣٨.

[٩] – إنصاف المومني (قراءة في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون) دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية، المجلد ٤٣ العدد ٣، ٢٠٠١٦م، ص٢٤٥٦.

١٠ – أبو هلال العسكري الحسن، كتاب الصناعتين –الكتابة والشعر. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل

إبراهيم، دار الفكر العربي،. ط ٢، د.ت، ص٥٧.

[١١] – سهل بن هارون: كتاب النمر والثعلب، حققه وقدم له وترجمه إلى الفرنسية: عبد القادر المهيري، منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص١٧٣.

[١٢] – فيليب بروطون: الحجاج في التواصل، ترجمة: محمد مشبال، وعبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى ٢٠١٣م، ص ٣٣.

١٣ – أحمد عبد الكريم الملقي: (السَّرد القصصي على لسان الحيوان في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون –دراسة تحليلية) – جامعة الأزهر – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة– ٢٠١٨م، ص٣٢٢٥.

[١٤] – أبو بكر العزاوي:اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٩م، ص ١١٨.

[١٥] – قحطان الفلاح:(القصة على لسان الحيوان: كتاب النمر والثعلب نموذجًا) مجلة التراث العربي، مج ٢٢، ع ٨٦,٨٧، ٢٠٠٢م، ص٢٥٧.

[١٦] – طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،الطبعة الأولى ١٩٩٨م، الدار البيضاء،ص٣١٢–٣١٣.

[١٧] – ميشيل لوجيرن: الاستعارة والحجاج، مجلة المناظرة، ترجمة طاهر عزيز، المغرب، ع٤، شوال١٤١١هـ/ ماية١٩٩١م، ص٨٧.

[١٨] – شاييم بيرلمان: الإمبراطورية الخطابية، ص ١٩٣.

[١٩] – النمر والثعلب: ص ٢٧

[٢٠] – النمر والثعلب، ص ٤٤.

[٢١] – النمر والثعلب: ص ٤٧.

[٢٢] – شاييم بيرلمان: ١٩٦.

[٢٣] – النمر والثعلب: ص ١٧.

[٢٤] – النمر والثعلب: ص ١٩.

[٢٥] – النمر والثعلب: ص٢٠.

[٢٦] – النمر والثعلب: ص ٢٠.

[٢٧] – النمر والثعلب: ص ٣٠.

[٢٨] – شاييم بيرلمان: الإمبراطورية الخطابية: ص ١٩٦.

[٢٩] – الإمبراطورية الخطابية: ص١٩٠.

[٣٠] – النمر والثعلب: ص ١٣.

[٣١] – النمر والثعلب: ص ١٧.

[٣٢] – شاييم بيرلمان: الإمب راطورية الخطابية، ص ١٩٣.

[٣٣]– النمر والثعلب: ص ١٧.

[٣٤] – النمر والثعلب: ص١٧.

[٣٥] – شاييم بيرلمان: الإمبراطورية الخطابية، ص ١٨٧.

[٣٦] – النمر والثعلب: ص٤٤.

[٣٧] – عزيزة عزالدين لافي: أنماط الشخصية السردية في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، الثلاثون – كانون الأول – ٢٠١٩، ص١٦٤.

[٣٨] – النمر والثعلب: ص ٤٧.

[٣٩] – النمر والثعلب: ص ٧٩.

[٤٠] – الإمبراطورية الخطابية: ص١٨٧.

[٤١] – ابن عبد ربه: العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ج ٣، ص ٣. راجع الأمثال والحكم، الماوردي، المقدمة، تحقيق ودراسة: المستشار الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٩٩٩م، ص ٢٠.

[٤٢] – فايزة عليلو: بلاغة التمثيل ولعبة الرموز والأقنعة في كتاب "النمر والثعلب" لسهل بن هارون، أشغال الندوة العلمية: البلاغي بين الإنتاج والتلقيم، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس – كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، ٢٠١٩م، ص٣١٥.

[٤٣] – محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص٩٣.

[٤٤] – أدب الدنيا والدين ٢٧٥، ٢٧٦، وراجع الأمثال والحكم، الماوردي، المقدمة، ص ٢٠.

[٤٥] – شاييم بيرلمان: الإمبراطورية الخطابية (صناعة الخطابة والحجاج)، ص ١٠٨.

[٤٦] – محمد عبد الرزاق أحمد المكي: مصادر الاسترفاد وآلياته في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون، سياقات اللغة والدراسات البينية، مج٥، ع٢، ٢٠٢٠م، ص١٩.

[٤٧] – محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص٨٢.

[٤٨] – النمر والثعلب: ص ٩.

[٤٩] – سهل بن هارون: النمر والثعلب، ص٨. الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، لبنان، الجزء الثاني، ص ٣٨٧. ويضرب لكل شيء قد اسْتَحَقَّ أن يُتْرَك من رجلٍ أو جِوار أو غيره.

٥٠ – سهل بن هارون: النمر والثعلب، ص٩. مجمع الأمثال الجزء الثاني، ص٢٧٨. وأتى بمعنى: عِقَال: ما يُعْتَقَل به البعير، والأنشُوطة: عقدة يَسْهُل انحلاَلها، أي ما مودَّتُكَ بواهية، وتقديره ما عقد عقالك بعقد أنشوطة، فحذف "عقد".

٥١ – سهل بن هارون: النمر والثعلب، ص٩. مجمع الأمثال الجزء الثاني، ص٣٨٨. ويعني: هُوَ عَلَى حَبْلِ ذرَاعِكَ أي الأمر فيه إليك.. ويضرب في قرب المتَنَاوَلِ. قَالَ الأَصمعي: يضرب للأَخ لاَ يُخَالف أخاه في شيء بإخائه وإشفاقا عليه.

٥٢ – سهل بن هارون: النمر والثعلب، ص ٩. مجمع الأمثال الجزء الأول، ص٢. ويعني: سُوءُ الظَّنِّ مِنْ شِدَّةِ الضَّنِّ. هذا مثل قولهم: " إن الشَّفيق بسوء ظَنِّ مُولَع، إن الشفيق بسوء ظن مولع يضرب للمعني بشأن صاحبه، لأنه لا يكاد يظن به غير وقوع الحوادث، كنحو ظنون الوالدات بالأولاد.

٥٣ – النمر والثعلب: ص ١٠، مجمع الأمثال: ج٢، ص٣٥. وقد ورد أن هذا من كلام أكثم بن صيفي، يضرب في اختلاط الرأي، وما فيه من الخطأ والضعف.

٥٤ –النمر والثعلب: ص ١٠، ومجمع الأمثال: الجزء١، ص١٣٦. ويضرب في الحث على التقدم في الأمور. التقدم قبل التندم. هذا مثل قولهم "المحاجرة قبل المناجزة". يضرب في لقائك من لا قوام لك به.

٥٥ – النمر والثعلب، ص١١، مجمع الأمثال: الجزر ١، ص٢٣١. أي بمُقَدِّماته، يعني دَبِّرْه قبل أن يفوتك تدبيرُه، والباء بمعنى في، أي فيما يستقبلك منه، يقال: قَبَلَ الشيءُ، وأقبل. يضرب في الأمر باستقبال الأمور.

٥٦ – سهل بن هارون: كتاب النمر والثعلب، ص١١. مجمع الأمثال: ج١، ص٣٥٨. شر الرأي الدبري. وهو الرأي الذي يأتي ويسنح بعد فوت الأمر، مأخوذ من دبر الشيء، وهو آخره، يقال: فلان لا يصلي الصلاة إلا دبريا، أي في آخر وقتها، قال القُطَامي: وخَيْرُ الأمْرِ ما اسْتَقْبَلْتَ منه ... ولَيْسَ بأنْ تَتَبَّعَهُ اتِّبَاعَا

وقيل: الدبري منسوب إلى دَبَرِ البعير الذي يعجزه عن تحمل الأحمال، كذلك هذا الرأي يعجز عن حمل عبء الكفاية في الأمور.

٥٧ – سهل بن هارون: كتاب النمر والثعلب، ص١١. مجمع الأمثال: ج٢، ص١٠١. ويضرب في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها وهو مثل قولهم "قبل الرماء تملأ الكنائن".

[٥٨] – النمر والثعلب: ص١١، مجمع الأمثال، ج٢، ص١٣٣. ويضرب هذا المثل في الجبان الذي ينفر من كل شيء، فلا داعي للخوف، واستباق الأحداث قبل وقوعها.

[٥٩] – النمر والثعلب: ص١٥، مجمع الأمثال: ج٢، ص ١٩٠. الاشتفاف والتَّشَاف: أن تشرب جميعَ ما في الإناء، مأخوذ من الشفافة، وهي البقية، يقول: ليس من لا يشتف لا يَرْوَى فقد يكون الري دون ذلك.، ويضرب في قَنَاعة الرجل ببعض ما ينال من حاجته. أي ليس قضاؤك الحاجَةَ ألا تَدَعَ قليلا ولا كثيراً إلا نِلتَه؛ فإذا نلتَ معظمها فاقنع به.

[٦٠] – النمر والثعلب: ص١٥، الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، لبنان، الجزء٢، ص ٩٣. ويضرب في قناعة الرجل ببعض حاجته دون بعض.

[٦١] – النمر والثعلب: ص١٥، مجمع الأمثال: ج ٢، ص٤١٧. أي يحمل المرء نفسه على الشدة إذا لم ينل طلبته بالهوينا. يضرب في القناعة بنيل بعض الحاجات.

[٦٢] – النمر والثعلب: ص١٥، مجمع الأمثال: ج١، ص٣٠٥.

[٦٣] – النمر والثعلب، ص ١٧.

[٦٤] – النمر والثعلب: ص١٧.

[٦٥] – النمر والثعلب: ص١٧.

[٦٦] – سهل بن هارون: النمر والثعلب، ص١٢. مجمع الأمثال: ج٢، ص٢٨٥.

[٦٧] –شاييم بيرلمان: الإمبراطورية الخطابية: ص٨٠.

[٦٨] – سهل بن هارون: النمر والثعلب، ص ١٢. وقد ورد في مجمع الأمثال: بهذه الصيغة" لَمْ يَفُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ" ج٢، ص١٨١.

[٦٩] – النمر والثعلب: ص٢٩، ورد في مجمع الأمثال: ج١، ص٤٠، بمعنى: المحاجزة: الممانعة، وهو أن تمنعه عن نفسك ويمنعك عن نفسه، والمناجزة: من النَّجْز وهو الفَنَاء، يقال: نجز الشيء، أي فَنِيَ، فقيل للمقاتلة والمبارزة: المناجزة، لأن كلا من القِرْنَيْنِ يريد أن يُفْنى صاحبه، وهذا المثل يروى عن أَكْثَمَ بن صَيْفِيٍ. قال أبو عبيد: معناه انْجُ بنفسك قبل لقاء مَنْ لا تقاومه.

[٧٠] – النمر والثعلب: ص٢٩، ورد في مجمع الأمثال: ج١، ص٤٠، بمعنى: المحاجزة: الممانعة، وهو أن تمنعه عن نفسك ويمنعك عن نفسه، والمناجزة: من النَّجْز وهو الفَنَاء، يقال: نجز الشيء، أي فَنِيَ، فقيل للمقاتلة والمبارزة: المناجزة، لأن كلا من القِرْنَيْنِ يريد أن يُفْنى صاحبه، وهذا المثل يروى عن أَكْثَمَ بن صَيْفِيٍ. قال أبو عبيد: معناه انْجُ بنفسك قبل لقاء مَنْ لا تقاومه.

[٧١] – ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: د. حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، مصر، ط، د ت، ص١١٨– ١١٩.

[٧٢] – النمر والثعلب: ص١٨.

[٧٣]– النمر والثعلب: ص١٩. وورد في مجمع الأمثال: ج١، ص ١٠، بمعنى: الرثيئة :اللبنُ الحامض يُخْلَط بالحلو، والفَثْء :التسكينُ.

زعموا أن رجلا نزل بقوم وكان ساخِطاً عليهم، وكان مع سخطه جائعا، فسَقَوْهُ الرثيئة، فسكن غضبه، يضرب في الهَدِيَّة تُورِث الوِفَاقَ وإن قلَّت..

[٧٤]– النمر والثعلب: ص١٩، وورد في مجمع الأمثال: ج٢، ص٣٠٠. وجاء بمعنى: أي مَنْ طلب حاجةً اهتمَّ بها وبذَلَ مالَه فيها. يضرب في المُصَانَعة بالمال.

[٧٥] – ربيعة العربي، أشرف فؤاد: الحجاج بين الجدلية الصورية والجدلية التداولية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٢٠م، ١٤٤١هـ ، ص١٢٠.

[٧٦] – شاييم بيرلمان الإمبراطورية الخطابية، ص ٨٠–٨١.

[٧٧] – حول التمييز بين نوعي الحجاج الجدلي والخطابي لدى أرسطو، راجع: محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١– ٢٠٠٨م. ص ص ٥١– ٥٥.

[٧٨] – شاييم بيرلمان: الإمبراطورية الخطابية (صناعة الخطابة والحجاج)، ترجمة وتقديم وتعليق: الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٢٢، ص٢٦–٢٧.

[٧٩] – – شاييم بيرلمان، ولوسي أولبرخت تيتكا: المصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة، ترجمه وقدم له، د. محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، يونيو٢٠٢٣م، ص٢٩٦.

[٨٠]– النمر والثعلب: ص٢٩–٣٠.

[٨١] وتبدو هذه الآلية في مواضع كثيرة منها هذا الموضع الذي يركز على آلية الشرح بهدف تعديل التصور وتصحيحه، :" قال الذئب: إن لم يكن الإقدام على غير الثقة غررًا فما الغرر؟ قال: الثعلب: بإضاعة النظر. قال الذئب: أوليس قد قالت الحكماء: ركوب الغرر خطأ، قال الثعلب: صدقت ولكن لكلمتهم هذه عبارة مجملة تحتها معنيان، فأحدهما إن كان الهول مندوحة فركوبه خطأ، وإلا فركوبه صواب. قال الذئب: فما موضعه في الخطأ وموضعه في الصواب؟ قال الثعلب: إذا كنت راكبًا هولًا

لاجترار نفع دونه مقنع، أو لدفع ضرر له مدفع، فدفعه خطأ، وإذا كنت دافعًا به أعظمه أو مضطرا إليه غير مزحزح عنه فمدفعه صواب، قال الذئب: قد فهمت ما قلت غير واحدة، فأين الهول الذي أعظم من هول الحرب، وهولها الموت؟ قال الثعلب: دخول النار ولا لزوم العار". النمر والثعلب: ٣٧-٣٩.

[٨٢] – شاييم بيرلمان، و لوسي أولبرخت تيتكا: المصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة، ترجمه وقدم له، د. محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ، يونيو٢٠٢٣م، ص٢١٠.

٨٣ – النمر والثعلب: ص ١٤.

[٨٤] – عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب– مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، ص ٤٧٠.

[٨٥] – النمر والثعلب: ص٢٥.

[٨٦]– شاييم بيرلمان: الإمبراطورية الخطابية (صناعة الخطابة والحجاج)، ص ٨٢.

[٨٧] – النمر والثعلب: ص٤١.

[٨٨]– النمر والثعلب: ص ٤٢.

[٨٩] – النمر والثعلب: ص١٧.

[٩٠] – النمر والثعلب: ص٢١.

[٩١] – عبد المجيد الغيلي: نحو نظرية حجاجية إدراكية– في تلقي الخطاب– دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية– دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٢٠م/١٤٤١هـ، ص ٢١٩.

[٩٢] – النمر والثعلب: ص ٣٥.

[٩٣]– النمر والثعلب: ص ٢٨، ٢٩.

[٩٤] – عزيزة عزالدين لافي: أنماط الشخصية السردية في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، الثلاثون – كانون الأول – ٢٠١٩، ص١٧٠.

[٩٥] – إبراهيم عوض: سهل بن هارون وكتاب النمر والثعلب (فصول مترجمة ومؤلفة)، المنار للطباعة والكمبيوتر ، ٢٠٠٦م– ١٤٢٦هـ ، ص ٢٣.

[٩٦] – النمر والثعلب: ص ٤٣، ٤٤.

[٩٧] – انظر: د. كمال الزماني، الإيتوس: المفهوم والتحولات، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية– الجزائر، المجلد ٤٠ / العدد: ٤٠ سبتمبر، ٢٠٢١م. ص ص ٦٨– ٧٠.

[٩٨] – الحسين بنو هاشم: بلاغة الحجاج – الأصول اليونانية، تقديم: محمد العمري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٣م، ص٢١٣.

[٩٩] – حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، د ط، د ت، ص٤٤– ٤٥.

[١٠٠] – فاطمة السراحنه: البنية الحكائية في كتاب النمر والثعلب، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلّد ٤٥، العدد ٤، ملحق ١، سنة ٢٠١٨م، ص ١١١.

[١٠١]– النمر والثعلب: ص ٤٤–٦٣.

المصادر والمراجع

المصادر

سهل بن هارون: كتاب النمر والثعلب، حققه وقدم له وترجمه إلى الفرنسية: عبد القادر المهيري، منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

المراجع

- إبراهيم عوض: سهل بن هارون وكتاب النمر والثعلب (فصول مترجمة ومؤلفة)، المنار للطباعة والكمبيوتر، مكتبة لسان العرب، ٢٠٠٦م- ١٤٢٦هـ.
- ابن عبد ربه: العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: د. حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، مصر، ط، د ت.
- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
- أبو هلال العسكري الحسن، كتاب الصناعتين –الكتابة والشعر. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط ٢، د.ت.
- أحمد عبد الكريم الملقي: (السَّرد القصصي على لسان الحيوان في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون –دراسة تحليلية) – جامعة الأزهر – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة–٢٠١٨م.
- إنصاف المومني (قراءة في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون) دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية، المجلد ٤٣ العدد ٣، ٢٠٠١٦م.
- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية.
- الحسين بنو هاشم: بلاغة الحجاج – الأصول اليونانية، تقديم: محمد العمري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٣م.

- ربيعة العربي، أشرف فؤاد: الحجاج بين الجدلية الصورية والجدلية التداولية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٢٠م، ١٤٤١هـ.
- رفائيل ميشلي: مفهوم الحجاج وتعريفاته: عناصر من أجل تدريسية النظريات الحجاجية المعاصرة على المستوى الجامعي، ترجمة: إبراهيم أمغار، (ضمن مصنف: الحجاج بين النظرية والتطبيق) مؤلف جماعي عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط ١،٢٠٢٠ م.
- سهل بن هارون: كتاب النمر والثعلب، حققه وقدم له وترجمه إلى الفرنسية: عبد القادر المهيري، منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- شاييم بيرلمان: الإمبراطورية الخطابية (صناعة الخطاب والجدل)، ت: د. الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٢٢م.
- شاييم بيرلمان، ولوسي أولبرخت تيتكا: المصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة، ترجمه وقدم له، د. محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، يونيو٢٠٢٣م.
- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،الطبعة الأولى ١٩٩٨م، الدار البيضاء.
- عبد المجيد الغيلي: نحو نظرية حجاجية إدراكية– في تلقي الخطاب– دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية– دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٢٠م/١٤٤١هـ.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب– مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م.
- عزيزة عزالدين لافي: أنماط الشخصية السردية في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، الثلاثون– كانون الأول – ٢٠١٩ م.
- فاطمة السراحنه: البنية الحكائية في كتاب النمر والثعلب، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلّد ٤٥، العدد ٤، ملحق ١، سنة ٢٠١٨م.

- فاطمة عليلو: بلاغة التمثيل ولعبة الرموز والأقنعة في كتاب "النمر والثعلب" لسهل بن هارون، أشغال الندوة العلمية: البلاغي بين الإنتاج والتلقيم، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس – كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، ٢٠١٩م.
- فرانز فان إيمرن، روب غروتندورست: نظرية نسقية في الحجاج (المقاربة الذريعية– الجدلية)، ت: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحددة، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
- فيليب بروطون: الحجاج في التواصل، ترجمة: محمد مشبال، وعبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى ٢٠١٣م، ص ٣٣.
- قحطان الفلاح:(الأدب والسياسة، قراءة في قصة النمر والثعلب) مجلة دمشق مج ٢٧، ع ١و٢، ٢٠١١م.
- قحطان الفلاح:(القصة على لسان الحيوان: كتاب النمر والثعلب نموذجًا) مجلة التراث العربي، مج ٢٢، ع ٨٦,٨٧، ٢٠٠٢م.
- كمال الزماني، الإيتوس: المفهوم والتحولات، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية– الجزائر، المجلد ٤٠ / العدد: ٤٠ سبتمبر، ٢٠٢١م.
- الماوردي الأمثال والحكم، تحقيق ودراسة: المستشار الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٩٩٩م.
- محمد الولي: مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو، وشاييم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: ٢، المجلد: ٤٠، أكتوبر– ديسمبر ٢٠١١م.
- محمد عبد الرزاق أحمد المكي: مصادر الاسترفاد وآلياته في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون، سياقات اللغة والدراسات البينية، مج٥، ع٢، ٢٠٢٠م.
- محمد محمود حرب، بكر محمد أبو معيلي: تقنية الحوار في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية، المجلّد46 ، العدد ٢، ٢٠١٩م.

- ميشيل لوجيرن: الاستعارة والحجاج، مجلة المناظرة، ترجمة طاهر عزيز، المغرب، ع٤، شوال١٤١١هـ/ ماية١٩٩١م، ص٨٧.

Argumentation from the animal kingdom to the human kingdom

A study in (The Story of the Tiger and the Fox) by Sahl bin Haroun

abstract

The current study attempts to focus on the book “The Tiger and the Fox” in order to examine the means adopted in argumentation and how those means were the main axis that formed the logic of the entire message, and made all its elements in the service of its idea or its claim, which is a call to obey the ruling and win over the circle surrounding it from among the subjects or from the people of advice and aspirants in influence or rule itself; From here, the research came to discuss Argumentation and its role in the narrative discourse, and how Sahl employed his strategies through the dialogue he established between the protagonists of his story.

This narrative tale is based on an argumentative issue, which is the dispute over power, as it is based on narrative representation, in which the narrator assigns the heroic role to animals, as each animal plays a role in this tale..

What can be drawn from the hypothesis of the argumentative nature of the story of the tiger and the fox is represented in a number of results, the most important of which are: that the story focuses on the political and educational fields at the same time. Reality, the primacy of individual interest and personal survival.

Keywords: Argumentation - the ancient Arabic narrative - the tiger and the fox - Sahl Ibn Harun.